روايات عبير

أسوار الذكريات

WWW.REWITY.COM

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 064

روايات عبير

أسوار الذكريات

◆ كان نجاح (هاربيت)فى حياتها العملية.. يثير تساؤلات كثيرة. لكن ماذا عن حياتها الخاصة ..؟ لقد كانت فتاة غير سعيدة وغير راضية .. تعيش فى عزلة وبلا أصدقاء .. حتى أهلها كانوا مبتعدين عنها.. يرافقها فقط أحزان جرح قديم طوت عليه نفسها.

ففى مطلع شبابها التقت بأندريه الشاب الفرنسى الوسيم .. الذى لم تكن تعلم عن حياته شيئاً .. وبسبب جهلها هذا دفعت الثمن غالياً سنوات طويلة من عمرها .. مليئة بالهموم والدموع والوحدة.

ترى .. هل سيظل الماضى ينهش أعصابها إلى الأبد..؟ أم ستخترق بعزيمتها الضباب..؟ وربما يكون للأقدار رأى آخر..!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠
مصر	٥ جنيه	قطر	
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	/٥٠
الأردن	١ دينار	المغرب	٥
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	م
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	م
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

ISBN 977-376-101-4

9 789773 761912

KD 0.750

W.Salama 0101517873

No. 064

روايات عبير

اسوار الذكريات

آن ميثر

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

www.liilas.com

١ ـ عانس قبل الأوان

كان الباب مردوداً فلم تحتج الى المفتاح، ولما دفعته فاحت رائحة قوية من العفن والرطوبة اثارت اشمئزازها كأنها رائحة تفاح فاسد. لم تر من الاثاث سوى طاولة على جانبيها مقعدان طويلان من الخشب، وكرسى هزاز عتيق مهترئ قرب الموقد. الحوض رأت فوقه حنفية قديمة، اعتقدت ان موضتها اندثرت منذ سنين، وكانت ارضية الغرفة الحجرية مغطاة بأوراق شجر وبقايا اخرى دخلت ولاريب من فتحات النوافذ، وفى الزواية علامات تدل على ان مخلوقات غريبة احتلت المكان من قبل وخلفت فيه هذه النفايات. لم يكن البيت نظيفاً منذ استعماله لأخر مرة، وقد غطى رماد الموقد كل شئ بطبقة خفيفة من الغبار.

أحست هاربيت خيبة تلسع قلبها. هل من المعقول ان تبقيا هنا؟ ان المكان قذر ورطب. ثم ما هذا الخفيف الذى تسمعه؟ جرذان؟ وبحركة لا شعورية، رفعت قدميها عن الأرض بالتناوب، وتملكتها رغبة فى ان تطوى حافتى بنطلونها حول كاحليها! اين البيت الريف النظيف الذى توقعته، البيت الأبيض الخلوى المشيد فى وادى دوردون الشهير بعرائش العنب وفطائر الباتيه، حسبما جاء فى كتيب الدعاية الذى اطلعت عليه؟ كيف

يمكن ان يباع بيت مهجور كهذا على اساس انه مكان صالح للسكن؟

كانت قد تركت سوزان فى السيارة لكنها سمعت خطواتها على الممرتقترب منها، فاستدارت اليها وهى تحاول اخفاء شئ من الحنق والخيبة. لقد مرت سوزان بظروف عصيبة فى الاسابيع الأخيرة، وأملت هارييت الآن ان لايفسد منظرهذا المكان كل الجهود الطيبة التى بذلت من اجل راحتها. بدت فكرة ممتازة ان تصطحب ابنة اختها الى جنوب فرنسا لبضعة اشهر كى تغير جوها السابق كلياً، وكانت بادرة لطيفة من تشازلز، رب عملها، ان يمنحها هذه الاجازة. ولكن كل ما ادخرته من مال دفعته ثمناً لهذا المكان، لكونها عولت على تأكيدات الوكالة فى باريس بأن هذا البيت الريفى فى روشلاك يطابق المواصفات التى تريد، والآن عندما اكتشفت الحقيقة المزيفة شعرت بإهانة مرة.

وسمعت سوزان تقول بصوت متفائل:

- اهذا هو المكان؟

فأجابتها هارييت متنهدة:

- نعم، مع الأسف.

تخطتها الصغيرة ووقفت بالباب تسألها:

- لماذا مع الأسف؟

- هل السؤال ضرورى؟

فردت سوزان ببساطة:

- صحيح انه قذر، لكن هذا ليس مهماً. اقصد اننا نستطيع تنظيفه بسرعة.

- انه رطب! الا ترين هذه البقع على الحائط؟ انى اخاف التفكير بالذى يتنظرنا فى الطابق العلوى! وبالنسبة الى الاثاث...

اجتازت سوزان ارض الغرفة دون ان تبالى باحتمال وجود ضيوف غير مرغوب فيهم، وسألتها:

- هل تجولت فى الداخل؟

ثم فتحت باباً لم تنتبه اليه هارييت واردفت:

- هذه غرفة الجلوس. هل تدعى كذلك بالفرنسية؟

اجابت هارييت آلياً:

- يدعى الصالون.

ثم نظرت حولها واجمة. واردفت:

- سوزان. انتبهى اين تضعين قدميك، سمعت خشخشة عندما دخلت.

- لعلها فئران الحقل التى من عادتها احتلال البيوت المهجورة. اين السلم؟

- اوه سوزان! لا أعرف!

تنهدت هارييت ثانية تنظر حولها حائرة ثم قالت حانقة:

- انها غلطتى وحدى. كان يجب ان اصر على معاينة هذا المكان قبل ان اصرف فرنكاً واحداً، انتظرى ما سوف افعل بالسيد فروند عندما امسك به! لا اعتقد انه ذهب فى حياته الى ابعد من جنوب اورلينز.

www.rewity.com
مـــروريـــة

عادت سوزان الى المطبخ وقالت تواسيها:

- لماذا تغضبين هكذا ياهارى؟ هناك مقعدان لائقان فى الداخل وطاولة زينة. لسنا فى آخر الدنيا. اعتقد انه منزل رائع. يمكنك ان تشاهدى الحديقة خلف البيت، كما يوجد جدول...

فقاطعتها هارييت:

- اتصور انها مغمورة بالأعشاب البرية... ولا تنادينى هارى!.

ابتسمت سوزان ابنة الرابعة عشرة وقد بدأ النمش واضحاً فى شحوب وجهها، فالاسابيع القليلة الماضية سلبت لونها الشاحب اصلاً، وسر هارييت أن تراها تبتسم هكذا. اذا كان البيت يثير فيها هذه الحماسة، لايمكن ان يكون سيئاً الى هذا الحد.

وقالت سوزان تعلق على اعتراض خالتها السابق:

- انت لاتحبين ان اناديك خالتى هارييت، اليس كذلك؟

فانفرجت اسارير خالتها وقالت باسمة:

- هذا صحيح، انما افضل ان تنادينى باسمى مجرداً. هارييت فقط.

- حسن، انت من اليوم فصاعداً هارييت فقط!

فضحكتا معاً واردفت سوزان بصوت مرتجف بعض الشئ.

- لنتكلم جدياً، البيت ليس سيئا كماتتصورين. انى أحببته وقد سئمت الأجواء الأخرى التقليدية.

عادت هارييت تقول باصرار:

- يجب ان تعترفى بانه رهيب!

فأحنت سوزان كتفيها وسألت:

- أين سنمكث اذن؟ وماذا ستقولين عندما تكلمين السيد فروند؟

هزت هارييت رأسها فهى نفسها لاتعرف ماذا ستقول... هل تقدر ان تسترد منه بعض المال المدفوع؟ انهاتشك فى ذلك، اذ كان عليها ان تتفقد العقار قبل شرائه، ولاتسمح لنفسها بأن تنخدع بأساطير دعائية عن الكرمة والقصر، وامسيات الاسترخاء على ضفاف النهر وهى ترشف الشراب المثلج.

وقالت بصدق:

- لا اعرف الآن كيف سأتصرف.

لاحظت الغبار الذى لطخ قميصها وعبرت الغرفة بحذر على الأرض المليئة بالحفر. وخرجت الى ضوء الشمس تتنفس بعمق.

عادت هارييت تقود السيارة على الطريق المشقوقة بين قريتى بلسوربو وروشلاك. واحست بشعور بسيط من الالفة تجاه روشلاك، هو الذى جذبها اليها بالدرجة الأولى. انما لم تستطيع تحديد هذا الشعور.

وامكنهما من الطريق ان ترىا البيت المحاط بالأشجار وحتى رؤية سطحه القرميدى الرمادى وخلفه الجدول المتدفق. كان كل شئ يبدو ساحراً من بعيد، لكن ارهاق هارييت الشديد حال دون تقديرها لهذه الحسنات. اما سوزان فتطلعت اليه بحنين عبر كتفها لكن خالتها ضغطت بقوة على دعاسة الوقود فانطلقت السيارة الفيات الصغيرة

تجرى بهما قدماً.

بدت روشلاك ملتصقة بجانب التل المطل على النهر والذى يتفرع منه الجدول المجاور للبيت المهجور. وخمنت هارييت ان السير الى القرية بمحاذاة النهر قد يكون اسرع من الوصول اليها بالسيارة، لكنها سرعان ما انصرفت عن هذه الفكرة المشجعة على البقاء، اذ اقنعت نفسها بانهما قد لا تعيشان فيه ولا حاجة اذن الى هذه الحسابات.

كانت القرية ذات جمال طبيعى رائع كما تمنتها ان تكون، طرقات ضيقة، شرفات تعج بالمتسلقات المزهرة، ساحة صغيرة وبرج عال. اوقفت السيارة امام حانوت لبيع الحلوى تنبعث منه رائحة خبز طازج تسيل اللعاب، ثم اقفلت السيارة وسارت مع سوزان على الدرب الشديد الانحدار المرصوف بالحصى والمؤدى الى النهر.

وظهر ان هذه القرية لايوجد فيها استعدادات لاستقبال السياح، وصاحب المقهى الوحيد اوضح انهم لايستقبلون زواراً كثيرين. ولحسن الحظ كانت هارييت طلقة اللسان بالفرنسية، لأن عملها كان قد جاء بها اكثر من مرة الى فرنسا، ولذا علمت ان صاحب المقهى يعرف عدداً قليلاً من الكلمات بالانجليزية.

وسألت هارييت وهى تحاول اخفاء نفاد صبرها:

- وماذا الآن؟ لا اجد فكرة العودة الى بيناك مستحبة.

فقطبت سوزان وخاطبت صاحب المقهى قائلة:

- هل تعرف احداً يمكنه استضافتنا هذه الليلة؟

عبس الرجل وغاص فى خطاب طويل لم تفهم سوزان منه الا القليل ما عدا كلمة قصر. وادارت عينيها المرتبكتين نحو هارييت التى حزنت عليها واوضحت كلام الرجل بقولها:

- ماكون اى صاحب المقهى كان يؤمن متطلبات القصر، ويقول انه ما عدا القصر لاتوجد بيوت تستطيع استضافة الزوار.

- هل القصر فندق؟

تعجب الرجل كأنه صدم من السؤال الذى لم يعجبه لكونها تخطت حدود التطفل، فرفع جسمه المسترخى عن المقعد وقال بصوت متشنج:

- ذلك ممكن ايتها الآنسة، والآن اسمحا لى بالانصراف.

فقلصت هارييت قبضتيها وسألته بتوسل:

- لحظة من فضلك، هناك شئ آخر، من يملك القصر؟

- لماذا تريدين ان تعرفى؟

التفتت هارييت الى سوزان ثم قالت للرجل بتردد:

- اننا فى الواقع، اقصد انى... اشتريت عقاراً يبعد بضعة كيلومترات من هنا، واتساءل من يملك هذا القصر. اشتريت العقار بواسطة وكيل فى باريس.

نظر اليها مرتاباً وقال:

- ولكنك سألت عن مكان تمضيان فيه الليل؟

وحثه هارييت سائلة:

- على الأقل، ما اسم هذا القصر؟

استنتجت انه مهما كان اسم القصر فلا بد ان صاحبه يحمل الاسم نفسه.

- انه قصر روش فورت ايتها الآنسة. اى شخص يستطيع ان يقول لك ذلك.

- شكراً.

لملمت هارييت حقيبتها وخريطتها التى كانت تحملها وغادرت المقهى بصحبة سوزان.

وعندما اوقفت سيارتها امام البيت ورأت دخاناً يتصاعد من المدخنة ارتجف قلبها بقوة اذ جالت فى خاطرها قصص الاشباح والأساطير التى سمعتها.

وصرخت سوزان:

- هناك دخان يتصاعد من المدخنة! هارييت، نحن لم نضرم النار فى الموقد!.

نظرة واحدة الى وجه الفتاة كانت كافية لتعيد الرشد الى هارييت التى رددت:

- كلا، لم نضرم النار فى الموقد.

فتحت الباب وترجلت برباطة جأش اذهلتها. مع العلم ان ساقيها كانتا ترتجفان وهى تقطع الممر القصر المعشوشب الذى يقود الى

المدخل. وانقبض قلبها فى صدرها عندما ظهر شخص طويل القامة امامها لم تستطع تمييز ملامح وجهه لأن شعاع الشمس كان يبهر نظرها. توقفت بتردد، متسائلة ان كان هذا الرجل متشرداً او متطفلاً. تساءلت ان كان شرساً، وعندئذ تكلم فأحست وكأن العالم المحيط بها يتبخر.

وهتف الرجل غير مصدق مايرى:

- هارييت! يا آلهى، احقاً انت هارييت بنفسها؟

WWW.REWITY.COM مرمورية

٢- حنين غير مفهوم

تجمدت هاريت في مكانها. احست ان سوزان قد لحقت بها وأصبحت وراءها وأحست بها تلمس ذراعها وهي تسألها هامسة:

- من هذا ياهاريت، هل تعرفينه؟

لكن هاريت لم تجب، كانت مذهولة، مرتبكة، فاقدة تماماً امكانية استعمال اوتارها الصوتية لتسمح لكلمة ما بأن تخرج وتعبر للرجل عما يجيش في نفسها. هل تعرفه؟ وسألت نفسها بدهشة! هل عرفته؟ ليتها لم تعرفه. ليتها لم تلتق به ابداً... ولكن كل هذا لم يفسر ماذا كان يفعل هنا.

لقد مضت ثماني سنوات على فراقهما واصبح الآن في الأربعين أو أكثر. وها هو السواد يغلب على لون شعره الذي انسدل على ياقة قميصه ذي القماش الخشن. كان ينظف الموقد على ما يظهر، لأن ذراعيه بدتا مسودتين بغبار الفحم لذلك لم يحاول لمسها، لكنه نظر اليها بعينيه السوداوين اللتين ما نسيتهما ابداً. قال:

- هارييت، لم اعرف انك أنت!

- ماذا كنت من قبل؟

- لم ادرك انك انت التي اشتريت البيت، ماذا تظنين انني قصدت؟

آثرت هارييت ان لاتجيب، والتفتت الى سوزان بقلق وقدمتها بصوت خافت:

- انه السيد لاروش ياسوزان. لقد التقينا منذ سنوات في باريس في مزاد علني.

ما قالته كان اخفاء للحقيقة، وخشيت ان يفضح الأمر، لكنها خمنت انه لن يفعل ذلك.

- حتى الآن لم توضح سبب وجودك هنا ياسيدي.

نطقت هذه العبارة بقسوة، اجابها:

- حسبتك تعلمين. يجب اذن ان اعتذر عن حالة البيت المزرية، لكن حتى يوم أمس لم اعرف ان السيد فروند قد وجد مشترياً للبيت.

نظرت اليه هارييت بهلع وهتفت:

- هل تقصد انك المستأجر القديم؟

- هذا صحيح.

كان من الصعب عليها تصديق ذلك لكن كل شئ لايصدق.. حتى لا روش نفسه يبدو مختلفاً جداً عن الرجل الأنيق المتحضر الذي التقته في صالات سان جرمان في باريس. كان يرتدي آنذاك ثياباً أنيقة

ونظيفة، مفصلة بعناية لتظهر نحول جسمه. انما الآن يجب ان تأخذ بعين الاعتبار انه كان ينظف الموقد. لكن القميص الذى يرتديه مصنوع من قماش خشن، اما بنطلون الجينز الملتصق بعضلاته القوية فيبدو رثا وعتيقاً.

تنهدت هارييت وقالت:

- فهمت.

واستدار اليهما قائلا:

- بامكانكما تفقد المكان. واذا تبين لكما ان البيت ليس كما وصفه السيد فروند، فلا استطيع ان ألومه، لكننى سأطلب منه ان يعيد لكما الثمن حالاً.

تطلعت سوزان بقلق نحو خالتها. كانت لغة لاروش الانجليزية أحسن بكثير من لغة هارييت بالفرنسية، ولم يكن هناك مجال للالتباس. واعترفت هارييت بتردد:

- فى الواقع أتينا الى هنا باكراً وتفقدنا المكان حينئذ.

- آه.

ظنت هارييت انه بعد تنظيف البيت وطلاء الجدران سيتحسن منظره ولكن البيت لم يعد المشكلة بل الرجل الذى يقف قرب المدفأة أصبح هو العقبة.

شدت سوزان كم قميص خالتها وسألتها بلوعة:

- سنبقى هنا، أليس كذلك؟

فبدرت عن هارييت حركة توحى بنفاد صبرها وقالت:

- ارجوك ، لاتضايقينى!

كانت سوزان مصممة على البقاء لكن هارييت رفضت الابتزاز. صحيح انها هى التى اقترحت ان تصطحب ابنه اختها لبضعة أشهر لتشفيها من صدمة موت والديها، لكن اذا كان السيد فروند مستعداً لاعادة المبلغ اليها، فلايوجد سبب يمنعها من شراء بيت أو كوخ فى مكان آخر من البلاد. الا انها تحب منذ زمان هذه المنطقة، وتريد البقاء فيها.

لكن كل هذا كان قبل ان تعرف من سيكون جارها. كيف تستطيع ان تمكث هنا، على رمية حجر منها ومن عائلته؟ كيف تستطيع ان تتحمل فكرة لقائه فى اى وقت... او لقاء زوجته؟ ربما وجودها هنا سيعتبره دعوة مفتوحة ليجدد العلاقة التى كانت بينهما، وهى لن تدعه يفعل ذلك ابداً! ان وجوده هنا اذهلها، وتساءلت منذ متى اصبح يقوم بأعمال يدوية؟

وقال فجأة:

- اخيراً تبدو النار متقدة كما يجب!

تقدم من المغسلة ليغسل يديه المتسختين ثم سأل:

- هل تنويان قضاء الليل هنا؟

لفت هارييت حمالة حقيبتها حول معصمها، وردت باختصار:

www.rewity.com

- أجل، لقد ذهبنا الى القرية بحثاً عن فندق، لكن صاحب المقهى المدعو ما كون قال لنا انه لاتوجد فنادق فى هذه الناحية.

- كيف ستتامان؟ ان السرير الموجود فوق لايصلح.

- لا اعتقد ان هذا الأمر يهمك، ياسيد لاروش.

قالت ذلك ببرود جعل وجهه يحمر قليلاً. فأجاب بهدوء:

- لم أقصد التطفل.

احست هارييت باللوم وقبل ان تكمل اضاف:

- اذا قررتما البقاء، سآتى لكما بسريرين.

- وكيف تستطيع تحضير شراب ساخن؟

فدلها على ابريق حديدى قرب الموقد وقال معتذراً:

- آسف، عليك ان تغلى الماء فى هذا الوعاء الليلة.

توقف قليلاً وكأن عينيه تبحثان عن شئ فى وجه هارييت، ثم اضاف:

- ما لم تودى ان تنضمى الى العائلة لتناول العشاء.

فأشاحت عنه بانفعال وقرف. كيف يجرؤ؟ كيف يستطيع ان يدعوها الى تناول العشاء والجلوس الى الطاولة نفسها مع زوجته وعائلته مع علمه بعلاقتهما.. السابقة؟

كادت تختنق وهى ترفض دعوته. فحرك منكبيه ودلت هذه الحركة على أصله الغاليكانى وقال:

- كما تشائين.

وتقدم نحو الباب متابعاً:

- سأعود فى الصباح لأعرف قراركما.

- من هو؟ ماذا يجرى هنا؟

انتصبت هارييت وهى تهز رأسها:

- قلت لك... هو... أنا... لقد التقينا منذ بضع سنوات فى باريس.

- هل هو تاجر تحف قديمة أيضاً؟

- لا أعرف.

- لكنك قلت انك قابلتة فى مزاد علنى!

- أجل.

ثم ضربت هارييت يدها فى الهواء واردفت بحزم:

- اسمعى، لاوقت لدينا للحديث عن هذا الموضوع سوف يحل الظلام قريباً وعلينا ان نفرغ السيارة.

نظرت اليها سوزان بحده وقالت:

- لا تستطيعين التخلص بهذه السهولة، انت لم تقابليه مرة واحدة فقط. انا لست طفلة، ويبدو لى ان معرفتكما قامت على عدة لقاءات.

- اوه، كفى ياسوزان...

وخرجت هارييت من البيت.

WWW.REWITY.COM مـرمـوريـة

فألحت سوزان وهى تلحق بخالتها:

- حسناً! ماالخطأ الذى حدث بعد ذلك؟ اقصد انه جذاب وقد ذكرنى بساشا دى ستيل.

قالت هارييت غاضبة:

- يا الهى، لايشبه ساشا دى ستيل ابداً؟ هل ستساعدينني فى نقل الحاجيات الى الداخل ام لا؟

حملت سوزان صندوق المأكولات واستفسرت بعفوية:

- هل كانت لك علاقة غرامية به؟

- لماذا؟

- اريد ان اعرف فقط، وسوف اتوقف عن الاسئلة اذا اجبت بصراحة.

- أحقاً ستتوقفين؟

- نعم، نعم اعدك بذلك.

انحنت هارييت فوق الاغراض وقالت:

- اسمه اندريه. اندريه لاروش. والآن، هل يمكن ان نقوم ببعض الأعمال؟

كان الماء يغلى فى الابريق واللحوم الباردة والجبنة والخبز المقمر الطازج اشهى مايمكن مع القهوة الساخنة. كان الباب موصداً دون سواد الليل، وضوء القنديل يبعث الدفء.

قالت هارييت :

- لم تجرب محاسن الاغتسال بالماء البارد، وتذكرى انه لايوجد حمام هل لاحظت دورة المياه وأنت تمرين بالجدول؟

اومأت سوزان قائلة:

- انه وراء الباب الخلفى مباشرة.

فقالت هارييت:

- سوف نستعمل الكيماويات..

ثم زمت شفتيها قرفاً وتابعت:

- لا استطيع ان الوم احداً على ذلك. كنت اعرف ان التسهيلات غير مشابهة لما اعتدنا عليه ولكن...

قاطعتها سوزان قائلة:

- سنبقى هنا أليس كذلك، انه ليس سيئاً كما توقعناه. واذا امن لنا اندريه لاروش سريرين...

- السيد لاروش من فضلك.

قاطعتها هارييت بحدة وتابعت قائلة:

- لا أعرف ماذا سأفعل. اذا اعاد لى السيد لاروش المبلغ، من المستحسن ان استعيد فرنكاتى.

فشهقت سوزان وقالت بانفعال:

- اوه، كلا!

بسطت هارييت يديها كأنها لاتستطيع فعل شئ وقالت:

WWW.REWITY.COM

- يمكننى شراء بيت آخر، وفى مكان اقل وحشة من هذا.

- لكننى أحب هذا المكان!

هتفت سوزان وهى ترفع شعرها عن جبينها وبدت فى هذه اللحظة تشبه والدتها كثيراً.

صوفى والدة الفتاة كانت ذات شعر احمر وعينين زرقاوين ورثتهما ابنتها سوزان، مع العلم ان شعر سوزان اكثر شقرة، ولم تكن لديها المشاكل الجلدية نفسها التى كانت والدتها تعانى منها. اما هارييت فعيناها بنيتان. ثارت هارييت لذكرى شقيقتها وترددت مع ان كل شئ فى داخلها كان يحثها على ترك البيت ما دامت الظروف تسمح بذلك، وتفضل الابتعاد عن روشلاك قبل ان تزج فى وضع تندم عليه.

- سوزان .. سوزان.

لكن ابنة اختها كانت لها قوة ابيها نفسها فواجهت خالتها بعناد وقالت:

- وعدت بأن نبقى هنا. كنت دائماً تقولين انك تودين الاقامة فى وادى دوردون لتستكشفى القصور والكهوف، اماالآن فأنت تغيرين رأيك وكل ذلك من اجل هذا الرجل!

- هذا ليس صحيحاً!

احمرت وجنتا هارييت وتابعت:

- تعلمين ياسوزان ان المكان لم يعجبنى عندما رأيته.

- لكنك كنت ستبقين، وكنا سنحاول تحسين الوضع. ذلك حتى اللحظة التى التقيت فيها اندريه لاروش!

- سوزان!

- لا اصدق انك لاتحبين هذا البيت. باستطاعتنا تحويله الى جنة، وانت تعلمين ذلك. ماذا حدث؟ هل تركك او حصل شئ من هذا القبيل؟ الذلك انت عانس فى السادسة والعشرين؟

عندما انهت سوزان كلامها، ندمت على ما قالته فوضعت رأسها على ذراعيها المطويتين واجهشت بالبكاء، كأنها مكسورة القلب. تركتها هارييت تبكى لفترة وجيزة لأنها ايقنت ان هناك اسباباً اخرى غير خيبة الأمل التى جعلتها تذرف الدموع.

لم تشف بعد من صدمة وفاة والديها فى حادث سيارات جماعى منذ ستة اسابيع. وكانت هارييت مخطئة فى تفكيرها اذ اعتقدت انها تستطيع تحوير افكار الطفلة حينما يطيب لها. بالنتيجة ربما التقت باندرية فى اى وقت وفى عدة اماكن تجرى فيها مزادات علنية فى انحاء فرنسا. ربما كانت فكرة صائبة ان تخرج طيفه من حياتها لأخر مرة، على ان العلاقة التى كانت بينهما فى تلك الحقبة من حياتها اثرت على كل علاقاتها اللاحقة. ولم تكن سوزان مخطئة عندما اتهمتها انها عانس. فالرجل الوحيد الذى دخل حياتها بعد اندريه هو تشارلز ولم يكن بينهما الا حبهما المشترك للأثريات.

نهضت من مكانها وتقدمت نحو الفتاة واحتضنتها. اعتذرت سوزان بصوت خافت واستدت وجهها اليها وهى تشهق باحثة عن منديلها. كانت العاصفة قد هدأت فنظرت الى خالتها بسذاجة وقالت:

- آسفة.

قالت هاربيت بمرح:

- لاتكونى سخيفة، لست غاضبة وربما انت على حق فأنا عانس بالفعل.

- كلا، لست بعانس ياخالتى. كل ما فى الأمر انك تكرسين وقتك لعملك. صديقاتى يقلن انك لبقة وثيابك دائماً فى غاية الاناقة. انت لا تشبهين امى، اقصد... لاتبدين اهتماماً بالزواج ولا بانشاء عائلة، اليس كذلك؟ ولكنى اعتقد انك عرفت عدداً كبيراً من الرجال...

- انك تظهرينني كامرأة قاسية انانية!

كانت هاربيت تبتسم وهى تجيب لتخفى الألم الذى احدثه كلام الفتاة. لو علمت سوزان بالمرارة التى تشعر بها خالتها!.

قالت سوزان:

- انا ايضا أود ان اكون مثلك. لا اريد الزواج من احد حتى اصبح فى الثلاثين من عمرى. اريد ان تكون لدى مهنة.

استدارت هاربيت لتأخذ الأكواب الفارغة وتضعها على الحوض فى الخارج اصبح الظلام دامساً، والحشرات التى يجذبها النور كانت تصطدم بزجاج النافذة المطلخ. من فترة وجيزة كانت هاربيت قد وضعت مكان الزجاج المكسور نوعاً من الكرتون على النوافذ. والآن عندما رأت الحشرات والبعوض تحاول ان تعبر الى داخل المنزل فرحت لما فعلت، فهى لا تحب الحشرات على انواعها.

سألتها سوزان؟

- اين سننام؟

اقفلت الباب وهى تشعر بشئ من الاطمئنان.

ومع انها كانت منهكة القوى، الا انها لم تستطع النوم جيداً لأن اموراً كثيرة جالت بخاطرها، ولاسيما القرار الذى سنتخذه فى اليوم التالى. اما سوزان فكانت تنعم بنوم هادئ عميق فحسدتها لأنها تستطيع ترك مشاكلها تحل نفسها بنفسها.

فكرت هاربيت بالوضع الذى تعانيه. ماذا ستفعل، علماً ان سوزان ستكون بغاية التعاسة اذا باعت البيت، وكم سيستغرق ايجاد مكان آخر حتى لو توفر لها المال؟ فى كل حال، لقد منحها تشارلز عطلة شهرين فقط كما ان على سوزان ان تعود الى المدرسة فى شهر سبتمبر.

لاحل لها الا البقاء هنا حتى لو لم تحب هذا التدبير. انها ثمانية اشهر فقط، وحتى استتب بهما المقام بطريقة مرضية، فلا حاجة لهما لأن تريا اندريه لاروش، فهما لاتدفعان ايجاراً لتضطرا الى رؤيته، ولاشك ان زوجته ستسارع الى الاعتراض اذا بدأ يتردد عليهما بكثرة... هل هى غير واثقة من نفسها ومن مشاعرها الى حد الاستسلام الى فكرة الهرب الجبانة؟ ان الماضى مات، والألم الذى تحسه ناتج عن جرح قديم فتحته فجأة يد ثقيلة قاسية. فكل جرح يتعرض للهواء قد يتأخر شفاؤه، لكن لايوجد شئ يقنعها بأن تتخلى يوما عن احساسها بالكرة، والاحتقار تجاه الرجل الذى ايقظها بقسوة على حقائق الحياة.

٣- خيالات الماضى

نامت هاربيت بثيابها، والآن عندما خرجت من كيس النوم، أحست بالحرارة والعرق وتذكرت ما قالته عنها سوزان فى الليلة الماضية بأنها عانس. هذا التشبيه بدا أصح فى تلك اللحظة.

سألتها سوزان وهى تضع الابريق فوق النار:

- هل قضيت ليلة مريحة؟

فلم تبح لها هاربيت بأنها لم تغمض عينيها قبل ساعات الفجر الأولى. وسألتها بدورها:

- وأنت؟

ثم نهضت وأخذت تطوى كيس النوم فاومأت سوزان بحماس وقالت:

- نمت كقطعة خشب.

ثم ملأت صدرها بالهواء النقى وتابعت قائلة:

- أليس الصباح الريفى ساحراً؟

لفت هاربيت كيس النوم ووضعته على الطاولة وقالت متسائلة:

- أتظنين ان الجدول صغير؟

فردت سوزان بلهفة:

- هل بامكانى ان اغتسل فيه؟ أحس اننى متسخة، وبحاجة الى حمام جيد قبل ان أبدل ثيابى.

أجابت سوزان:

- سأذهب لاستطلع اذا أردت.

- كلا، لاتتعبى نفسك، سأذهب أنا، هل اخرجنا المناشف من الحقيبة ليلة أمس؟

فتحت هاربيت الباب وخرجت الى الحديقة وهى تحمل الفرشاة ومعجون الاسنان والصابون والمنشفة. كانت الحديقة الخلفية كالتى امام البيت، تعج بالاعشاب والشجيرات العالية. وفيما هاربيت تشق طريقها، رأت حديقة حشائش تنبعث منها رائحة النعناع.

كان الغدير صافياً سريع الجريان وخطر لها ان تذوق طعم الماء ثم عدلت عن الفكرة لأنها لاتريد ان تجازف. خلعت حذاءها وغطست قدميها فى الماء الثلج وهى تبتسم لأن برودة الماء دغدغت اصابعها، فى أسفل المجرى تجويف فى الصخر تحول الى بركة ماء صغيرة. وتمنت هاربيت لو تستطيع تغطيس جسمها فيها. وبعد التأكد من خلاء المكان انزلقت إلى الجدول. جلست على القاع الرملى، فأخذ الماء ينساب من حولها فشعرت بلذة كالأطفال.

www.rewity.com

فى شقتها بلندن حمام كبير وعصرى يحوى كل متطلبات الراحة، ولذا نسيت مع الوقت كيف تستمتع بمباهج الحياة البسيطة. حتى منزل والديها فى سارى كان مزوداً بجميع أسباب الراحة من تدفئة مركزية وآلات غسيل. لكن الجلوس هنا جعلها تحس بالمتعة التى تفتقدها. جففت نفسها بالمنشفة لتستعيد بعض الدفء وأسرعت نحو البيت، ووصلته ملهوفة ومصممة على ان تخبر سوزان ما حدث. رأت اندريه لاروش متكئاً على الحوض يحادث سوزان وهى تضع الزبدة على الخبز المحمص. اهتزت ولفت نفسها بالمنشفة المبللة. تساءلت بانزعاج من أين أتى، وان كان قد شاهدها وهى تغطس فى الغدير، ربما خرير الماء منعها من سماع وقع خطاه، لم تحتمل مطلقاً فكرة رؤيته لها فى الغدير.

- صباح الخير.

انتصب يحييهابتهذيب؟ تجاهلت تحيته وقالت بجفاف:

- لقد بكرت فى زيارتنا، فالساعة بالكاد تناهز الثامنة.

اجابها بلطف:

- بعضنا لديه أعمال، لو وجدتك نائمة لكان على ان اعود ثانية.

- هل تريد بعض القهوة ياسيد لاروش؟

سلب سؤال سوزان الفرصة من هاربيت لتجيبه، فدخل الصالون الصغير حيث الحقائب. وفى لحظات ارتدت قميصاً نظيفاً وبنطلوناً وانتعلت حذاء ذا كعب عال، وسرت للطول الاضافى الذى منحها اياه. فمع انها ممشوقة القامة، الا ان اندريه يطولها بعدة سنتيمترات، واذا

استطاعت تقليل فارق الطول يكون أفضل.

لما عادت الى المطبخ احست انها تستطع التعامل معه بالرغم من انها لم تتبرج.

كانت سوزان قد احضرت القهوة وقدمتها الى الضيف. انتظرت هاربيت بفارغ الصبر ان يطرح عليها السؤال الملح لديه، لكنه لم يفعل ثم اثنى على سوزان درايتها فى الأمور المنزلية، اشرق وجه سوزان نتيجة الثناء المقصود، لكن هاربيت صرت على اسنانها بقوة وتعجبت لأن اسنانها لم تتكسرا.

قدمت سوزان الى خالتها فنجاناً من القهوة، ورفضت قطعة الخبز متجاهلة الرجاء الذى ظهر فى عينى ابنة اختها. فرغم كل التعقل الذى حاولت اقناع نفسها به الليلة الماضية، كان شئ يحثها على ابلاغه انهما ستتركان البيت.

وعلق لاروش فجأة:

- اخبرتنى ابنة اختك انك خبيرة بالسيراميك.

فرمقت سوزان بنظرة منزعجة وأجابته:

- انت تعلم ان الأولاد يبالغون.

تجاهلت تذمر سوزان وتابعت قائلة:

- أتصور انك ترغب فى معرفة قرارى من ناحية البيت.

وضع اندرية فنجانه على الطاولة، وكان اليوم يرتدى بنطلوناً من الجينز يتدلى على وركيه وقميصاً اخضر يضفى على ملامحه نوعاً من

الشحوب. عندما استدار ليواجهها شعرت بارادتها تضعف... يا الهى، قالت لنفسها، هل يريدنى ان أبقى هنا؟

- أنت ذاهبة؟

لم يكن يسأل بل كأنه يقرر واقعاً سمعت سوزان تشهق معترضة. ثم نظرت اليه وأنكرت التهمة بقولها:

- لم يكن لدى متسع من الوقت لكى اجد بيتاً آخر ولأدخل فى مفاوضات البيع والشراء. لكن بالطبع أتوقع منك أن تؤمن السريرين اللذين وعدت بهما وموقد الطهى.

اجاب بالفرنسية:

- بالطبع.

ان يجيب بلغته الخاصة، أجبرت هاريت على تجاهل الاستفسار الصريح الذى بدا فى عينيه. كانت نصف غاضبة من نفسها لأنها قبلت البقاء لم تستطع اقناع نفسها بأن لا علاقة له بهذه القصة. ويتصرف صبيانى ارادت ان تجعل منه كبش فداء، ومن أجدر من أندريه لاروش ان يكون ذلك الكبش؟

سمعوا وقع أقدام فى الخارج، ونظرت هاريت بتعجب الى ولد فى الخامسة عشرة من العمر يقف على العتبة. كان شاباً وسيماً طويل القامة ذا منكبين عريضين وشعر أسود وملامح رقيقة تدل على ذكاء. وقف رافعاً يديه ليسند نفسه على حلق الباب، وارتعشت عيناه باهتمام عندما رأى الفتاتين ثم انفرجت اسارير وجهه بابتسامة لما وقع بصره على الرجل.

وقال له الشاب بارتياح:

- انت هنا؟ كنت ابحث عنك.

علمت هاريت على الفور من هو. فالشبه كان واضحاً، إذ ورث الشاب عينى ابيه. لم يكن مرتبكاً وهو يقف هناك والفضول يعمق نظراته.

قلص اندريه عضلات كتفيه قبل ان ينظر صوب الشاب. ثم قال له بالانجليزية.

- لا نملك هذا البيت بعد اليوم يابول، وكان باستطاعة لويز ان تقول لك اين أنا.

لويز. هل هذا اسم زوجته؟ توقفت هاريت عن التنفس. هل من المعقول ان ينادى زوجته باسمها امام الشاب؟

تأملها الشاب باهتمام وعلق بتمهل:

- انت الآنسة انغرام أليس كذلك؟

واندهشت هاريت للسهولة التى نقل بها حديثه من الفرنسية الى الانجليزية.

ثم اضاف:

- قال لنا والدى انك اشتريت هذا المكان بدون ان تعاينيه.

وخطأ الى الأمام وتابع يسألها:

- هل قررت البقاء فى روشفورت؟

- روشفورت.

قطبت هارييت حاجبيها عند سماع اسم روشفورت، واستوضحته قائلة:

ـ اتقصد روشلاك؟

عندما تجاوزت الساعة الحادية عشرة بدا منظر المطبخ مقبولاً. مع انه يحتاج الى طبقة من الطلاء، الا انه اصبح نظيفاً على الأقل.

فى هذه الاثناء كانت سوزان قد نظفت غرفة النوم، فتعاونتا على سحب الفراش الى الحديقة، ثم فككتا السرير واخرجتا قطعة ايضاً.

صوت سيارة فى الخارج جذبهما الى النافذة. وعندما رأت هارييت الشاحنة الصغيرة محملة بالأثاث احست بارتياح. كان البيت قد اكتسب رونقاً، والشئ الوحيد الذى يزعج هارييت هو وجود اندريه بالجوار. عرف سائق الشاحنة بنفسه فقال ان اسمه برتراند مادوك عندما رأته هارييت خيل اليها انه لن يستطيع حمل السرير الى الطابق العلوى، لكنها سرعان ما غيرت رأيها لأنه بدا شديد العزم وبسهولة متناهية استطاع ان ينقل السرير والمفسلة.

وهتفت سوزان متأففة:

ـ لقد انتهيت لتوى من تنظيف الغرفة!

لكن برتراند اكتفى بهز رأسه وقال يطمئنها:

ـ لحظة يا آنسة.

فأمتثلت سوزان، ووقفت تنظر اليه.

لم يرسل اندرية سريرين وموقد فقط، اذ حوت الأغراض خزانة صغيرة «وتواليت» قديمة قيمة ومزخرفة ببراعة، ومقعدين من القطيفة

الحمراء، وأريكة باهتة اللون، ومكتباً من القرن التاسع عشر. طلبت هارييت من برتراند ان يضع الخزانة الصغيرة فى المطبخ لأنها تصلح للاطباق والأوانى... ليتها نظفت قاعة الجلوس قبل ان تصل الأغراض.

ضايق هارييت ان تشعر بالامتنان نحو اندريه، انما بدون شك كان لطفاً منه ارسال هذا الاثاث. هل استخدم هذه الطريقة ليجعلها مدينة له؟ لكن لماذا تفكر هكذا وقد دفعت مبلغاً مناسباً ومن حقها ان تحصل على تلك الأشياء؟ وتساءلت من اين اتى بكل هذا. لو انه اشترى اثاثاً عصرياً جديداً لكلفه اقل، ما لم يكن حصل على هذه القطع من احد القصور المتداعية... ليست هذه المرة الأولى التى تساءلت فيها عما كان يفعل فى قاعة المزاد فى سان جرمان حين رأته قبل ثمانى سنوات، وفجأة ادركت لماذا بدا اسم روشلاك فى حينه مألوفاً. فبعض الأغراض التى عرضت للبيع آنذاك كان من قصر روشلاك. طبعاً! لماذا لم تتذكر هذا من قبل! اذن من هو اندريه؟ وكيل عند العائلات الارستقراطية التى لحقها الفقر مع الزمن؟

انهى برتراند عمله فى غضون ساعة تقريبا، ثم صعد الى سيارته فاضطرت هارييت الى اللحاق به ركضاً قبل ان يقفل باب السيارة وقالت:

ـ ارجوك ان تشكر السيد لاروش بالنيابة عنى.

فرد مبتسماً:

ـ لاشك انك تستطيعين شكره بنفسك.

ثم رجع بالسيارة الى الخلف ومضى.

عادت هارييت الى البيت وهى تفكر فى كلماته. لقد بدا واثقاً

مما يقول.

هل الكل يعرف ان اندريه يتردد على البيت؟ الم يعترض احد؟ قررت بحزم انها لاترغب فى ان تتكرر هذه الزيارات، وواجهت بهجة سوزان بوجه مكفهر.

لم تستطع اظهار عدم اللامبالاة لوقت طويل. فالموقد الذى أرسله ليها كان جديداً ويعمل على الغاز ومزوداً بفرن. الخزانة اصبحت اجمل الآن وهى مزينة بأطباق على رفوفها. وحتى الشمس استطاعت الآن ارسال اشعتها من خلال النوافذ النظيفة.

حملت هارييت حقائبهما الى الطابق العلوى. وانصرفت الى توضيب السريرين ثم فردت عليهما غطاءين جميلين فبدت الغرفة اكثر اشراقاً.

التفتت سوزان الى خالتها وهتفت بسرور:

- الا يبدو كل شئ جميلاً؟ ألست سعيدة ببقائك هنا؟

فأحاطتها هارييت بذراعها واعترفت قائلة:

- كنت على حق بأن هذا المكان قابل للتحسين.

بعد تناول وجبة الغداء، كان الجو حاراً غير صالح للقيام بأى عمل. ارتدت سوزان ملابس السباحة ونزلت الى الغدير، ثم استلقت على حصيرة غير مبالية بالنمل.

حملت هارييت كرسياً هزازاً الى الخارج، واخذت تكتب اسماء الاغراض التى اعتقدت انهما بحاجة اليها. لكنها احست ان هذا العمل البسيط مرهق، فوقع القلم من يدها واسترخت على المقعد. كان الهواء

ساكناً لا يداعب اوراق الاشجار، ولم يعكر الهدوء سوى تغريد العصافير واصوات الحشرات وخرير الجدول الناعم.

تحولت افكارها نحو اندريه لاروش لعدم انشغالها بشئ، والى الصدفة الطريقة التى جعلته هو مالك البيت الذى اشترته، ربما لحسن الحظ لم تستقص عنه معلومات اكثر لأنها لو عرفت المزيد لما حضرت الى هنا.

وبالرغم منها عادت بها الذكريات الى المرة الأولى حيث التقت هذا الرجل الذى لعب دوراً مخرباً فى حياتها... منذ ثمانى سنوات كانت فى الثامنة عشرة من عمرها وفى أول رحلة لها بصحبة تشارلز هوكنى الى باريس. كانت يومذاك فى غاية السرور عندما اتيح لها لمس المعروضات التى قرأت عنها فقط، وزياراتهما المتعددة لقاعات العرض فاجأتها بثروة من الجمال والحرفية المتقنة. ربما فى تلك اللحظات اصبحت تهوى البورسلين... عندما حملت فى يدها تمثالاً رائعاً وتعلمت ان تمييز ماركة الدوق دو فيلوروا مؤسس المصنع. ام انها مع مرور الزمن، تتذكر كل تلك التفاصيل وتعطيها وزناً اكثر مما تستحق؟

مهما كانت الحقيقة، تذكر حتى الآن كيف وقفت بجانب تشارلز فى مؤخرة قاعة المزاد الواقعة فى ساحة سان جرمان، وهى تراقب منادى المزاد العلنى يقوم بعمله. أحست فجأة ان هناك من يراقبها، ومع ان تشارلز حسبها مستغرقة بالمزاد، فقد استدارت ونظرت الى رجل يقف فى الناحية الاخرى من الغرفة يحدق اليها باهتمام. كان اطول من معظم الرجال فى القاعة، اسمر البشرة ونحيلاً. تقاسيم وجهه غير منتظمة لكنها اكثر جاذبية من التقاطيع الوسيمة. عينان

WWW.REWITY.COM

غائرتان، خدان عاليان، انقف بارز وفم به نوع من الالتواء القاسى، تذكرت انه كان يرتدى بدله من المخمل الكحلى وقميصاً من الحرير.

لم تلتق هاربيت من قبل احداً يشبهه، اما الطريقة التى كان ينظر بها اليها، فجعلتها تحس بالضعف والخوف الداخلى. لم يكن مثل الشبان الذين عرفتهم. ولا مثل تشارلز الذى كان بديناً، قصير النظر وأصلع. ايقنت ان هذا الرجل فى الثلاثينيات، اى اصغر من تشارلز بعشرين سنة، وواثق من اعجاب النساء به، احست بالذعر عندما اثار مناسبة ليتكلم الى تشارلز... وبالتالى اليها سألها عن عملها وعن طموحاتها وكم من الوقت ستبقى فى باريس. جعلها تشعر انها شخص مميز. وعندما غادرت قاعة المزاد كانت تحس بنشوة دامت حتى اعادها تشازلز الى الواقع. فى اليوم التالى اتصل بها هاتفياً فنسيت توصيات تشارلز وقبلت تناول العشاء معه فى تلك الليلة. لم يوافق تشارلز لكنه لم يستطع منعها، وحتى لو فعل لكانت تجاهلته. اصطحبها اندريه الى مطعم فى مونمارتر.

كتمت عنه ان والديها يعرفان جميع اصحابها عبر اهلهم او شقيقاتها الأكبر سناً، ومن جهة ثانية لم تشعر ابداً بالنشوة التى احستها مع اندريه وكانت غبية عندما اعتقدت انها تسيطر على الموقف. مخاوف تشارلز كانت فى غير مكانها لأنها بعد تلك الليلة لم تر اندريه ثانية الا بعد عدة اسابيع. عادت بصحبة تشارلز الى لندن، وبالرغم من الاحساس بالفراغ كلما تذكرت باريس استطاعت ان تتحمل متاعب الحياة. فى هذه الأيام كانت تقيم مع والديها فى غيلفورد وتذهب كل يوم الى لندن. هذا يعنى السرعة فى الصباح

والهرولة فى المساء. لكن والدتها تجد هذا التدبير وهاربيت لا تمانع. كانت تلتقى بعض الناس فى عملها الا ان جميع اصدقائها يقيمون فى غليفورد. ولو لم تتواجد هناك لحرمت من الحفلات الراقصة والاجتماعات التى تذهب اليها مع الأصدقاء.

كانت وحدها فى المحل ذات يوم حين دخل اندريه، وقد فقدت الأمل بمشاهدته ثانية واصبحت مقتنعة بأن ما قاله تشارلز صحيح، وهو ان اندريه يتلاعب بعواطفها، وانها محظوظة لأن القصة انتهت دون ان تخلف جراحاً.

مجيئة المفاجئ اربكها، وبدا متغيراً كأنه كبر سناً او فقد أو شيئاً من جاذبيته التى عهدتها، والشئ الوحيد الذى لم يتغير نظرة عينيه اللتين قالتها لها انك متعة للنظر، وسألته لعجزها عن قول شئ آخر.

ـ ماذا تفعل فى لندن؟

لكنه تجاوزها الى داخل المحل فلحقت به الى الغرفة الخلفية.

تشارلز لم يكن يسكن فوق المتجر، بل فى منزل مريح فى سانت جونز وود وهذه الغرفة كانت مخصصة لاستضافة الزبائن. وعلق اندريه قائلاً:

ـ رب العمل ليس هنا، رأيته وهو يغادر المكان.

ثم نظر اليها سائلاً:

ـ قولى لى، هل اردت لقائى ثانية؟

عندما عاد تشارلز الى المحل كان الباب مقفلاً والستائر مسدلة

واضطر الى ان يحدث ضجيجا لوقت طويل قبل أن تأتى هارييت لتفتح له. شعر انه قطع عليهما خلوتهما، وتساءلت هارييت كيف لم يطرها من العمل. لكنه جلس يرشف القهوة ويتحادث مع اندريه الذى يبدو هادئاً بعد كل ما حصل الا نها لاحظت ارتجاف يده وهو يرفع فنجان القهوة. لاحظت كذلك انه ليس مرتاحاً كما يبدو. تصرفها افزعها اذ لم تتصور انها تستطيع التصرف بهذا الطيش دون ان تحس بتأنيب الضمير. كيف سمحت لاندريه ان يغازلها؟ هذه اول مرة تتصرف فيها على هذا النحو مع رجل. ولو لم يعد تشارلز فى الوقت المناسب لكانت قد وقعت فى الخطأ كانت غير مرتاحة لما حدث وكأنها وجدت شخصية اخرى بداخلها لم تعرفها بعد.

فى الأشهر الثلاثة التى تلت هذه الحادثة امضى اندريه اوقاتاً طويلة فى لندن، حيث كان يطير اليها من باريس صباح السبت ويعود مساء الأحد.. لم يوافق تشارلز على ما كان يجرى لكنه ادرك انه لايستطيع تغيير رأى هارييت بالنسبة الى اندريه لاروش.

والدها كانا اقل تفهماً. لقد التقيا اندرية فى عدة مناسبات لكن والدتها وجدت فارق السن بينهما كبيرا. اما والدها فلم يكتف بتلميحات اندريه العفوية الى بيته فى فرنسا، بل اراد ان يعرف شيئاً عن عائلته وكيف يكسب قوته، وهارييت بدأت تقلق كلما تهرب اندريه من الاجابة.

علاقته معها لم تكن مرضية. كان عليهما ان يلتقيا دائماً فى الأماكن العامة فلم ينفردا ببعضهما ابداً. فى الحقيقة، كانت مرتاحة لذلك مع العلم ان احاسيسها كانت تتطلب مزيداً من الالفة، ولم تعد

تثق بنفسها من ناحيته، وتربيتها اجبرتها ان تتقيد بالمبادئ الاخلاقية التى يتمسك بها والدها. ولكن كل ذلك لم يمنعها من الاحلام.

ولأسابيع عديدة تذمرت والدتها لأن اندريه لم يقدم هارييت الى عائلته كما تعرف هو بعائلتها. ألم ترغب هارييت بلقاء عائلته؟ الا تفكر انه يجب عليها ذلك؟

اصبحت الفتاة ثائرة الاعصاب ومكبوتة. فقالت لاندريه ما كانت تردده والدتها، ولم تصدقه عندما قال لها انه فقد والديه، وسألته بارتياب:

ـ مع من تعيش اذن؟

لكنه رفض المناقشة حول هذا الموضوع واجابها بنعومة:

ـ ما الفرق؟ هذا الموضوع يخصنا وحدنا.

فأجابته:

ـ انت التقيت بعائلتى.

فقال بلهجة لا مبالية:

ـ انت التى اردت ذلك بدون ان اطلبه منك.

فسألته محتدة:

ـ تقصد انك لم ترغب فى ذلك؟

بعد لحظات كانت تتشاجر معه بعنف، واخرجت كل ما تكدس فى جعبتها من مرارة وحسرة على نفسها فى الاسابيع الماضية... لم تلاحظ انه لم يشترك بالنقاش ثم نهض من مكانه وتركها وحيدة فى

بوفيه المطار.

الأيام التى تلت هذه الحادثة كانت مؤلمة جداً بالنسبة الى هارييت وصارت تذهب من البيت الى العمل كأنها دمية مسيرة. ثم اخبرت امها ان كل شئ قد انتهى بينها وبين اندريه، انما لم تذكر السبب. ربما حزر والداها لكنهما لم يسألاها عن التفاصيل.

بعد اسبوعين، اتصل بها اندريه هاتفياً وفى وقت كان يعلم ان تشارلز فى فترة الغداء، وعندما سمعت صوته ارتعشت ركبتها من الضعف... سألها:

- هل سامحتنى انت؟

مضت ثوان من الصمت، قال بعدها اندريه:

- كنت اود الاعتذار فقط ياهارييت، ولأسمع صوتك مرة اخرى. صدقينى، لست انت الملومة على اى شئ.

ملأها الذعر فأجابت هاتفة:

- ماذا تقصد؟ متى اراك؟

- لن ترينى بعد اليوم، لن ازور لندن ثانية.

- ولكن يا اندريه.

كانت يدها الممسكة بسماعة التليفون تتصبب عرقاً. واردفت:

- اندريه، اود ان اراك ثانية.

اجابها بخشونة:

- لافائدة من ذلك، والداك على حق انت تحتاجين الى رجل اصغر سناً... شخص مثلهما يعيش بحسب مفاهيمهما ومثلهما.

احست هارييت بالخجل وفقدت صوابها وهى تحتج بيأس:

- انا لا ابالى بهما! لاتهمنى مثلهما...

وعندما سمعها تجهش بالبكاء قاطعها قائلاً بوحشية:

- انت لاتقصدين ماذا تقولين. والدتك تعلم اننى لا استطيع مشاهدتك بلا...

وانقطع عن الحديث فجأة وخافت ان يكون قد انهى المكالمة، فتوسلت قائلة:

- ارجوك، دعنى احضر لأراك. اسمح لى بأن اجئ الى باريس، بامكانى ان ادعى السفر مع السيد هوكنى. ارجوك يا اندريه.

لم يكن من السهل اقناعه، ومع انها عرفته جيداً فقد تساءلت اذا كان قد فشل فى ردعها وهكذا ذهبت الى باريس، وقضت عطلة نهاية الأسبوع معه فى فندق فى شارع ريفولى.

رغم كل ما حدث بعد هذا اللقاء اعتبرت هارييت هذه العطلة اجمل ما فى حياتها. بدت باريس كأكثر مدن العالم رومانسية وهى فى الثامنة عشرة من العمر ومغرمة برجل استطاع ان ينسيها كل شئ.

لكن العودة الى لندن كانت اسوأ مرحلة. فقد توقعت الى حد ما ان يطلب منها اندريه البقاء الى جانبه، او على الأقل ان يعود معها الى لندن، لكنه لم يفعل. رافقها الى المطار، وحياها بيده بينما كانت

www.rewity.com

الطائرة تهم بالاقلاع. وهذه كانت آخر مرة رأت فيها اندريه.

تسلمت منه رسالة وبعد قراءتها القت بها فى النار.

بعد وقت قصير، استأجرت شقة فى المدينة، ومع ان اموراً عديدة حدثت وعقدت صلحها مع والديها، فلم تسامح نفسها على الطريقة المخجلة التى عاملتهما بها.

كان تشارلز الانسان الوحيد الذى احس وتفهم ما قاسته. ساعدها لتجد شقة تعيش فيها. ردت له الجميل بالعمل بجديه ونشاط لترفع ثقل العمل عن كاهله، كانا مثل شريكين وليس كرئيس ومرؤوس. وعندما قتلت شقيقتها الكبرى وزوجها، اقترح تشارلز عليها ان تأخذ سوزان بعيداً وتذهب بها.

٤ ـ الصوت البارد

فى الأيام القليلة التالية، وجدت هاربيت ان لديها اعمالاً كثيرة لتملأ فراغها، ذهبت الى روشلاك وعدا الاغراض الأساسية التى اشترتها مثل الحليب والبيض والخبز، ابتاعت مواد الطلاء والفرش وقماش ستائر. كانت غرفة الصالون الوحيدة التى كانت ستائرها فى حالة يرثى لها، والاثاث الجديد يستحق ستائر افضل. الخياطة باليد ستكون شاقة، لكن باستطاعة سوزان المساعدة بينما تقوم هى بطلاء الجدران.

انتظرت ان يعود اندريه لتشكره على الاثاث الذى ارسله، لكنه لم يأت واحست بالانزعاج من ذلك، ارادته ان يأتى لتشكره وينتهى الأمر.

عندما اصبح البيت على ما يرام قررت سوزان استكشاف الجوار، فهما لم تعطيا بيناك وكازيناك الا اهتماماً عابراً وبخاصة ان الضاحية المحيطة بها تنتشر فيها القصور والقلاع. ومن نقط المراقبة الموجودة على سور قصر بيناك كانت مشاهدة وادى الدور دون ممكنة. قررت هاربيت ان تزور قلعة نود الواقعة على ضفة النهر المواجه لبيناك. خلال حرب المئة سنة احتل الانجليز قلعة نود، وجرت عدة معارك دامية بين الجيشين المتخاصمين، وهذه المنطقة غنية بالتراث التاريخى، وقد عثر فى الكهوف والمغاور على بقايا هياكل عظيمة

WWW.REWITY.COM

ورسوم لكسان الكهوب.

وبينما سوزان تغسل اطباق الفطور قالت لخالتها:

- لنبدأ اولاً بزيارة القصر الموجود هنا. اقصد اذا كان صحيحاً ان مجموعة فنادق امريكية تود ان تشتريه كما قال السيد لاروش فلابد ان يكون رائعاً.

فأجابت هارييت:

- لا اظهن ان موقعاً كهذا ينال اعجابهم.

واكملت وهى تفحص درجة السمرة التى اكتسبها جلدها:

- الملاك القدامى كانوا يعرفون اين يبنون قصورهم ويقيمون قلاعهم فى افضل الأماكن حيث المناظر الخلابة وفى الأراضى التى تصلح لحماية قلاعهم.. اظن ان مجرد استطاعتهم ان يكشفوا ما حولهم على بعد النظر نوع من التحصين ضد الغزوات.

- اريد ان ارى هذا القصر فى اى حال.

اجابتها هارييت:

- لا اجد مانعاً لذلك. كنت سأقترح زيارة كاهورز، انما نستطيع تأجيل هذه الزيارة الى يوم آخر.

نشفت سوزان يديها ثم قالت:

- الا تمانعين حقاً؟

ابتسمت هارييت واجابت:

- لماذا امانع؟ اعتقد انه سيكون يوماً حاراً ومن الأفضل ان لا نبتعد اكثر من بضعة كيلومترات عن روشلاك.

وجدتا سيارة الفيات ساخنة بعد وقوفها فى الشمس لبضع ساعات، وفتحت هارييت جميع النوافذ قبل ان تصعد اليها.

كانت الشمس ترتفع عالياً وبعد قليل امست فوق رأسيهما ترددت ثم قالت:

- لا اعرف، ربما اذا سرنا الى القرية نجد طريقاً معبدة.

فتوصلت سوزان بحماس:

- اوه، لنذهب من هذا الطريق واذا لم نصل فى غضون نصف ساعة نستطيع العودة.

وافقت هارييت لكنها اردفت:

- يجب ان اوقف السيارة بعيداً عن الطريق، فى ظل الاشجار لتحميها من حرارة الشمس.

استمر الدرب ينحدر لوقت قصير، ثم انعطف بانحدار اقوى ووصل فوق مجرى الغدير الضيق. كانت ضفة الجدول مشجرة بكثافة ومكسوة بالأعشاب والأشواك المزهرة، والنباتات الزاحفة تفوح منها رائحة العشب الزكية. فى جزئه الأسفل، اتسع الغدير واصبح شلالاً سريعاً يتساقط فوق الحجارة المغطاة بالخنشار.

نظرت هارييت الى الغدير عابسة وقالت:

- هذا هو جدولنا، اننى متأكدة، انظرى!

WWW.RWAY.COM

واومأت الى البعيد قائلة:

- أليس منزلنا هناك؟

شهقت سوزان وهتفت:

- هو بيتاً حقاً، لابد ان هذا طريق مختصر يقود الى القرية.

قالت هاربيت:

- كنت اتساءل عن هذا.

تابعتا الطريق فوصلتا الى جسر يقطع الجدول. انتهت الدرب عند هذه النقطة، وخمنت هاربيت ان القصر يقع على قمة الهضبة التى تتسلقانها. شعرتا بالحرارة الشديد بعدما سارتا أكثر من نصف ساعة، انما لم ترغباً فى العودة. هذه مغامرة وكانت هاربيت تحس الحماس نفسه الذى تحسه سوزان لبلوغ الهدف. وصلتا الى ارض مكشوفة ومن هنا لمحتا القصر الأول مرة. كان جاثماً على صخرة شامخة ووعرة وأبراجه المتعرجة تبدو صفراء من انعكاس اشعة الشمس. لهثتا وهما تصعدان بين الجذور والنباتات الزاحفة حتى وصلنا حافة صخرية كأنها ممشى حول جدران القصر الخارجية. كان المنظر من هنا رائعاً يحوى مشهد سطوح بيوت القرية وفروع النهر.

فى البعيد ظهرت ابراج قلعة اخرى متجهة الى السماء وحول القصر بيارات الاشجار المثمرة التى اعطت نوعاً من المناعة للقصر. بدأ ان الجدول يختفى تحت القصر وكانت هاربيت تتأمل هذه الظاهرة عندما قاطعتها سوزان بصوت هادئ.

- الا تظنين ان ذلك بول لاروش؟

نظرت هاربيت بسرعة، وبالفعل كان ابن اندريه يقفز فى اتجاههم على الممر الضيق، ولم تستطيعا تحاشيه الا اذا هربنا فى الاتجاه المعاكس.

حياهما بلا اكتراث بينما انتشرت على ملامحه الجذابة ابتسامة كسولة واردف:

- لم اعرف ان لدينا ضيوفاً.

اجابت هاربيت:

- لم نأت لزيارتكم. كنا نرغب فقط فى مشاهدة القصر.

فضاقت عيناه باعجاب عندما استوعب جمال محياها وقال:

- اذن يجب ان تسمحا لى بمرافقتكما لزيارة القصر، عادة لايفتح القصر للسياح انما اعتقد انه فى استطاعتنا بصورة استثنائية ان نفتحه.

اجابته هاربيت:

- لن نقبل خدمة كهذه.

خاب املها لأنها قامت بالرحلة دون تحقيق شئ ورمقته بنظرة ثاقبة. ثم قالت لرفيقتها.

- هيا بنا ياسوزان.

- كلا، انتظرا.

وامسك بول بذراعها ثم تركه عندما نظرت اليه بحدة، وقال متلعثماً:

- ارجوك.. أود ... ان اريكما المكان.

فنظرت سوزان الى هاربيت بتوسل قائلة:

- من فضلك، دعينا نتفرج، لقد سرنا وقتاً طويلاً.

تنهدت هاربيت ثم قالت:

- حسناً، كيف ندخل القصر؟

- سأريكما.

ابتسم بول وقادهما الى الدرب الذى اتى منه. سار الثلاثة قرب سور القصر المتعرج، وعندما ابتعدوا عن الوادى الضيق العميق، اخذ الممر يتسع واصبح مظللاً بالاشجار. بعد بضع ياردات وصلوا الى نوع من الحدائق الكبيرة التى تواجه القصر.. اصبحت النباتات والخضروات تنمو عشوائياً. كان القصر اكبر مما تصورت ومجهزاً بابواب حديدية ضخمة تفتح على الساحة الداخلية، نوافذ تبدو كأنها فارغة.

اتشح المكان بصبغة من الأهمال لكن هذه الحالة لم تطغ على دقة وجمال النقوش والزخرفة فى الجدران، قال بول:

- اربعمائة عام من التاريخ تنهدم لتصبح غباراً!

قالت سوزان متأثرة:

- هل القصر بهذا القدم؟

اومأت هاربيت بضعف وهمست:

- هل القصر مسكون؟

قطب بول حاجبيه واجاب:

- البيت الصغير عند المدخل مشغول فقط، الا تعلمين ذلك؟

اجابته هاربيت:

- اعرف؟ ماذا اعرف؟

رد بول بدهشة:

- اننا نسكن البيت الصغير.

تمنت هاربيت لو انشقت الأرض وابتعلتها. كان من السهل ان تلهو وتتصور رد فعل اندريه عند دخولها مسكنه، لكن الاقتحام الفعلى كان شيئاً آخر.

وعندما خرج رجل من باب البيت الجانبى ووقف ينظر اليهم. كان ذلك الرجل اندريه لم تكن بحاجة للنظر اليه لتحس بتقلص عضلات معدتها، فقربه منها كأنه طعم العلقم فى حلقها. لاحظهم بالرغم من ان اشعة الشمس كانت فى عينيه وتقدم نحوهم.

لاحظ بول عدم ارتياح هاربيت فالتفت ثم زمجر قائلاً:

- اتساءل اذا كان يعرف انك تخافينه.

- كلا، لا اخافه!

وصل اندريه قربهم، وضاقت عيناه السوداوان عندما سمع همساتهم الحارة وقال ناظراً الى سوزان:

- انها فرصة سعيدة مفاجئة. هل ينقصكما شئ؟ ربما لديكما بعض الشكاوى.

WWW.REWITY.COM

كانت هارييت متضايقة جداً خطر لها انه يمكن ان يكون وكيلاً لهذا القصر ولذلك عرف ابنه بول كل هذه التفاصيل عن المكان. او موظفاً عند النبلاء ويدعى ملكية هذا العقار. سرحت افكارها، هل من الممكن ان يكون مالك البيت الذى اشترته؟ وهل صحيح ان البيت تابع للقصر؟ وسمعت سوزان تقول له:

ـ اردنا مشاهدة القصر. انه فى غاية الجمال، أليس كذلك؟ ما اجمل تلك القبة الصغيرة! اهى مدخنة؟

نظر اندريه الى البناء بسرعة وقال:

ـ انها فى الواقع قبة الجرس. من سنين طويلة وفى ايام الثورة، كانت القرية تعانى من فقر كبير. اجدادى كانوا يقرعون الجرس وكل من يأتى لدى سماع صوته يقدمون له طبقاً من الشوربة وقطعة خبز.

وتابع بسخرية:

ـ مع الأسف هذا لم يمنع ان تتدحرج رؤوسهم، ولحسن حظى، استطاع احد اولادهم الهرب الى انجلترا.

لم تعد هارييت تفهم كلمة واحدة مما قاله بعدما ذكر كلمة اجداده، هل يعنى هذا انه الكونت الحالى لروشفور؟ رفت بعينيها فنظر اليها بول بشئ من السخرية وقال:

ـ هل دخل شئ فى عينك يا آنسة انغرام؟

فزمت هارييت شفتيها بغضب واجابت ببرود:

ـ كلا، لكن اشعة الشمس قوية.

كان واضحا ان بول لم يصدقها ولكن كلماتها جذبت انتباه اندرية الذى قال:

ـ ربما تودان تناول العصير معنا، وبعد ذلك، اذا احببتما، يأخذكما بول لتتجولا فى ارجاء القصر.

اظهرت سوزان تحمسا لهذه الفكرة لكن هارييت هزت رأسها قائلة:

ـ يجب ان نعود لأننا اطلنا النزهة، وقد تركت السيارة فى مكان غير مناسب.

تجاهلت خيبة امل سوزان، وسألها اندريه مقطباً:

ـ هل اتيتما بالسيارة؟

تنبهت هارييت الى انه اعتقد انهما جاءتا الى هنا عمداً، فكرهته لوقاحته، وقالت اول شئ خطر فى بالها وهى تأمل الا تناقضها سوزان:

ـ كما فى طريقنا الى كاهورز فى الواقع.

سرها على الأقل رؤية الاستغراب على وجهه لكن فرحتها لم تطل لانه اجابها:

ـ الا تظنين انكما سلكتما الطريق الغلط؟

فاحمرت وجنتها عندما اعترف بأنها غير متأكدة، وتابع قائلاً:

ـ كان عليكما ان تسلكا طريق بلسوربو لا طريق روشلاك.

اخفت هارييت استياءها وقالت:

ـ اشكر لك ارشاداتك ايها السيد.

www.rewity.com

ثم حيت بول وهمت بالانصراف لكن اندريه تقدم منها قائلاً:

- يجب ان تأتيا وتتناولا معنا الشاى فى يوم من الأيام.

لكنها لم تستوضح تعبير وجهه لأنه كان يطبق عينيه تقريباً. وتساءلت اذا كان يحس كم تحتقره. وتابعت قائلة:

- لا اريد ان اكون متطفلة.

اكد لها انها غير متطفلة على الاطلاق، وانهم يستقبلون عدداً قليلاً من الزوار هذه الأيام.

تساءلت هارييت كم فهم بول من هذا الكلام ذى الحدين، وقد سرها ان سوزان صغيرة السن ولاتفهم دقائق العبارات التى تبادلتها مع اندريه اما بول فكان ينظر اليهما باستغراب واهتمام.

كانت هارييت تهم بمغادرة المكان عندما تكلم اندريه للمرة الثانية:

- لحظة ياسوزان، سوف نلحق بك، اننى ارغب بمحادثة خالتك عن انفراد.

انتفض رأس هارييت فجأة واجابته:

- لا اظن أن لدينا مانقوله.

لكنها برغم برودة جوابها خفضت نظرها اذ لم تتحمل نظرة اندريه النافية، وبحركة متضايقة اومأت ثم قالت لسوزان.

- اسبقينى ياسوزان، لن أتأخر سوى دقائق قليلة.

ترددت سوزان قليلاً ثم مشت على الدرب المنحدر الذى يقود الى الوادى. وبقيت هارييت واقفة مع اندريه فى ظل شجرة الطقوس الكبيرة.

وعندما اصبحت سوزان بعيدة عن مرمى السمع، نظرت هارييت الى طرف حذائها وهى تحفر الأرض اليابسة وقالت لاندريه:

- حسناً، ماذا تريد ان تقول؟

خيم جو من الصمت بينهما كأنه اصبح وجوداً بذاته، وفى النهاية تكلم، اندريه قائلاً:

- ادرك ان الوضع صعب ياهارييت لكن لاينفع ان تعامليني كأبرص!

رفعت رأسها بتحد وسألته:

- لم لا وانت كذلك بالفعل؟

مرت فترة اخرى من الصمت ثم قال:

- هل تكرهيننى ياهارييت الى هذا الحد؟

كان يبدو متعجباً، وانفجر غضبها مرة اخرى فهتفت:

- ماذا كنت تنتظر؟ ان افرح لمشاهدتك؟ ان اكون قد نسيت انك حيوان انانى؟

تقلصت عضلات وجهه عند سماعه اتهاماتها، ورأت شريان عنقه ينتفض بسرعة وجلده ملطخ بالعرق. تأثرت للمشهد، فقال لها:

- العلاقة التى كانت بيننا كانت ستنتهى يوماً بمعرفتك للحقيقة.

ارتجفت هارييت ولم تستطع السيطرة على نفسها وقالت:

- اتريدنى ان اكون شاكرة لك ذلك؟

www.rewity.com مـــرويـــة

التوت شفتاه. وتابع قائلاً:

- كلا. من الواضح انك لاتشعرين بالامتنان.

- هل كان هذا كل ما اردت قوله؟

- كلا!

شد على قبضتيه وتابع:

- من فضلك، اردت محاولة توضيح الأمر لك...

- التوضيح!

وتراجعت الى الوراء وتابعت:

- ماذا يمكن ان تفسر لي؟ خل عنك! اترك كل شئ... ودعني لوحدي!

رفعت عينيها الخاويتين لتنظر اليه، رأت سواد عينيه الملطخ بلون العنبر، ويقول لها انه لايصدق كل ماشاهد. ثم اخذ يتأمل تقاطيعها، صدمت هارييت وخجلت من نظراته الجريئة، ثم نفساً طويلاً وقالت:

- لا تنظر الى هكذا!

- وكيف انظر؟

لم يكن هناك اى دفء فى صوته، واستجمعت هارييت كل قواها لاكمال ما ارادت ان تقوله:

- نظرتك غير لائقة.

فسألها:

- هل هذه المرة الأولى التى انظر اليك هكذا ياحبيبتى؟

وبدون ان تتوقف لتفكر بالعواقب تقدمت وصفعته بشدة على وجهه البارد المتهكم. ولللحظات مخيفة تصورت انه سيبادلها الصفعة.

تحركت يده نحوها فجأة بعفوية ثم اوقف رد فعله وانكمشت اسارير وجهه. وقال:

- هل استمتعت بذلك؟ هل اصبحنا الآن متعادلين؟

اجابته بصعوبة:

- لاشئ يجعلنا نتعادل. انت.. انت...

واكمل عنها الكلام:

- حيوان انانى على ما اظن، الوصف اياه.

واخذ يفرك جلد خده المحمر، وقال:

- حسناً ياهارييت، فهمت مرادك. أليست هذه هى العبارة المعهودة؟

تنهدت هارييت وقد هدأ هجومها عليه. نكست رأسها وهى تحس بالفراغ وعدم الجدوى وتساءلت عن خيانة الجسم للروح. هل ستتخلص يوماً ما من هذا الرجل؟

رفعت رأسها عندماسمعت صوت قدميه يتلاشى على الدرب، واحست بكتلة تستقر فى حنجرتها عندما رأته ذاهباً. كان يفتح ازرار قميصه ليحس بالبرودة، يحرك منكبيه كأنه مثقل بالتعب.

كانت تصارع رغبتها بالجرى وراءه. واحست بموجة شديدة من

www.rewity.com مـرويـة

الوهن تسيطر على جسمها، فاغمضت عينيها من شدة احساسها بالتعاسة المؤلة يا آلهى، صلت بصمت، لاتدع هذا يحدث لى!

٥ ـ سيرة تُعاد

يد كأنها تريد ان تعبر عن شئ لمست ذراعها، ففتحت عينيها وشاهدت سوزان تقف بجانبها وتنظر اليها بقلق، ثم تهمس ملتاعة:

ـ هارييت ؟ ما الذى يضايقك؟

نظرت هارييت حولها ولما تأكدت انهما بمفردهما رفعت شعرها الى الوراء وهزت رأسها بعنف وهى تجبر نفسها على الابتسام. قالت وهى شاردة الذهن:

ـ انه الحر...

نظرت اليها سوزان غير مصدقة وسألت:

ـ ماذا قال لك السيد لاروش؟ ان وجهك شاحب.

عرفت هارييت انه يجب عليها توضيح الأمور، فقالت وقد استطاعت السيطرة على صوتها:

ـ أحقا ماتقولين؟

نظرت سوزان الى جدران القصر وقالت:

ـ ياللعجب!

ثم عبست وتابعت:

ـ وما الذى يدعو «الكونت» الى تنظيف الموقد؟

اجابت هارييت بلهجة جافة:

ـ تستطعين ان تسألى هذا السؤال! هيا بنا ياسوزان، لنتحرك! لن نستطيع الوقوف هنا طول النهار.

عبرتا الغدير وهارييت تفكر. تساءلت ما عسى اندريه يقول لزوجته اذا اذا أخبرها ابنه عن الزائرتين الغريبتين؟

اسرعت وراء سوزان واسنانها تصطلك. انها لحمقاء، شعرت بمرارة، تسمح لاندريه بأن يتغلغل فى كيانها، الم تحظ بتعاسة كافية بسببه؟ ما عساها ان تكون، هل ترضى بالألم والذل؟ كانت السيارة شديدة الحرارة، جلست هارييت وراء عجلة القيادة وارجعت السيارة الى الوراء وقادتها نحو البيت.

وقفت سوزان فى المدخل ورفعت رجلها لتضع الاخرى على برواز الباب، ثم قالت بعصبية:

ـ والآن! هل ستقصين على كل ماحدث؟

ارادت هارييت ان تكسب وقتاً فأجابت:

ـ كل ماذا؟

www.rewity.com

تنهدت سوزان قائلة:

- انت تعلمين ماذا اقصد. بالتحديد ما هو مقدار معرفتك بالسيد، اقصد، الكونت؟

- يجب ان نبدأ بقطع هذه الاعشاب، فاذا امطرت، سوف تبتل ثيابنا لدى السير فى غمارها.

ابدت سوزان استياءها وقالت:

- اذن انت تتهربين من الاجابة.

- اوه، سوزان!

ونظرت هارييت حولها بضيق واردفت.

- انت صغيرة جداً لتفهمى.

اجابت سوزان:

- لكنك تعرفينه اكثر مما تدعين، أليس كذلك؟

- لقد... خرجت معه بضع مرات.

- متى كان هذا؟

احمر وجه هارييت:

- منذ ثمانى سنوات.

نظرت اليها سوزان بتأمل فانكمشت شفتا هارييت وتمتمت:

- نعم... كان رجلاً متزوجاً..

واكملت سوزان عنها وهى عابسة.

- ولديه عائلة! هل عرفت هذا ايضاً؟

فتحت هارييت الباب بقوة وقالت:

- كلا.

فتمتت سوزان:

- ولكن هو كان يعلم.

فانتفضت هارييت. وتابعت سوزان.

- بدأت افهم الآن.

فى اليوم التالى ذهبتا الى كاهورز، وابت هارييت ان تفصح لماذا اختارت هذا المكان بالذات كأول زيارة تقومان بها. ولكنها صممت ان لاتدع اندريه يتصور انهما ذهبتا الى القصر لأى سبب آخر كما ذكرت. كانت الطريق الى كاهورز تمر بأرض جبلية تحد وادى نهر اللوت، ووصلتا الى المدينة فجأة، الابراج والحصون ترتفع فوق النهر بروعة من العصور الوسطى، ونهر اللوت يحيط كاهورز من ثلاثة اتجاهات. حزرت هارييت انه كان بمثابة حصن طبيعى، والجهة الرابعة يحدها سور يمتد من الشرق الى الغرب. كانت تقطع النهر عدة جسور، احدها من القرن الرابع عشر يدعى جسر فالانتر ويشار اليه فى دليل السياحة انه اجمل جسر فى العالم، له اقواس ضخمة من الطراز الغوطى وابراج نحيله، يشكل منظراً مهيباً. لكن هارييت كانت قد زارت البندقية، ولا شئ فى نظرها يضاهى جمال قناطر الريالتو البيضاء. اما سوزان فقد التقطت عدة صور فوتوغرافية قبل ان تنتقل الى الكاتدرائية فحسدتها هارييت على سذاجتها.

WWW.REWITY.COM

تناولتا طعام الغداء فى مقهى على الرصيف فى شارع جانبى قرب النهر حيث الطاولات تظللها بالاشجار، ومع ان هارييت كانت متعبة، الا أنها احست باسترخاء لم تعهده منذ ايام. اكلتا خبزاً مقمراً ولحوماً باردة واحتستا الشراب المثلج على انغام اوكورديون شجية تختلط باحاديث الرواد توقفنا لابتياع بعض الاشياء التذكارية من بوليفار جامبيتا ثم عادتا الى السيارة وبعدها إلى البيت، تأملت سوزان اطرافها النحيلة وهى تستقل السيارة وابتسمت قائلة:

- هل تذكرين عندما ذهبت الى المتجر لتشترى الخبز؟ كنت واقفة فى الخارج فغمزنى احد الشبان! ما رأيك بهذا؟

ضحكت هارييت قائلة:

- قلت لك انها فقط مسألة وقت.

ثم سألتها هارييت بجدية:

- ارجو الا تكونى تجاوبت بطريقة ما؟

اعترفت سوزان بصدق:

- احمرت وجنتاى فحسب.

فضحكت هارييت وهى تدير محرك السيارة.

أحستا بارتياح عندما عادتا الى البيت. خرجت هارييت من السيارة وتمطت بنشوة بعد عناء القيادة. ترجلت سوزان وبينما هارييت تجمع حوائجهما من مؤخرة السيارة، اخذت سوزان المفاتيح وذهبت لتفتح الباب، ثم هتفت وهى تلتقط ظرفاً ملقى خلف الباب:

- لقد وصلتك رسالة!

تقدمت هارييت عبر الممر رافعة حاجبيها بدهشة، فقالت سوزان:

- لايوجد على الظرف طابع، ويوجد شئ ثقيل داخله.

احست هارييت بالتوتر يحيط بها ثانية فاخذت الظرف وفتحته. وجدت ورقة فى داخله ولكن ليس عليها اية كتابة. كانت الورقة تغلف مفتاحاً سقط منها عند فتحها فأحدث صوتاً.

انحنت سوزان لتأخذ المفتاح، ونظرت اليه بدهشة ثم الى خالتها وقالت:

- انه المفتاح المرادف لمفتاحنا... والذى كان... بحوزة الكونت.

اومأت هارييت، ودخلت المطبخ. انه يشبهه، وافقت بحدة، وتبعتها سوزان الى الداخل بدون اى تعليق.

بعد يومين، وفيما هارييت فى الطابق العلوى ترقب السريرين سمعت اصواتاً فاقتربت من النافذة للاستقصاء. لم تستقبلاً ضيوفاً باستثناء اندريه وابنه. وتساءلت مع من كانت سوزان تتكلم.

لم يدم انتظارها طويلاً اذ سمعت صوت بول لاروش الكسول، وضحكة سوزان المتوترة. فحزرت هارييت ان الشاب كان يمارس جاذبيته على ابنه اختها السريعة التأثر.

كانت سوزان بدون شك تتمتع بهذه الفرصة لتختبر انوثتها اليانعة. وبالطبع وجدت فى بول نموذجاً جذاباً لتجرب رمى شباكها عليه. بول نسخة طبق الأصل عن ابيه لكنه اصغر سناً واقل خبرة. وعندما تذكرت هارييت الذى فعله ابوه هرولت الى اسفل الدرج.

WWW.REWITY.COM

اضطربت سوزان لدى ظهور خالتها. كانت تجلس على طاولة المطبخ كأنها تقلد احدى الفتيات اللواتى يعرضن آخر ابتكار لتسمير البشرة، كانت تنظر اليه جانبياً وتبرز كل ما عندها، لكن منظر بول يوحى بانه لايرى شيئاً جديداً. احس بول بارتياح لرؤية هارييت وعندما لاحظت الاعجاب فى عينيه تنبهت وخاطبها بول بتهذيب:

- صباح الخير! انى سعيد لرؤيتك ثانية.

انتصبت سوزان، وفى عينيها نظرة تحد بددت نشوتها. وقالت:

- طلب منى بول ان اذهب معه لنلعب التنس، هل تمانعين ياخالتى؟

برغم تضايق هارييت من آل لاروش لم تستطع اخفاء طرافة الموقف ولم تستطع الموافقة على الطلب، فقطعت الغرفة لتملأ الابريق متفادية نظرات الفتاة المذنبة نوعاً ما. سألتها:

- اين تنويان اللعب؟

تدخل بول قائلاً وهو يعطى ظهره لسوزان:

- توجد ملاعب من الحشيش فى القصر. لماذا لاتأتين انت ايضاً؟

شعرت هارييت بجاذبية نحو الصبى لأنه يشبه والده كثيراً.

عضت هارييت شفتيها متحاشية للنظر الى بول ثم اومأت بعدم اكتراث واجابت:

- لن استطيع منعك، اذا كان هذا ما تريدين.

تنهدت سوزان قائلة:

- يا آلهى! اننى بحاجة الى رياضة.

ونظرت الى بول الجالس على الطاولة وقالت:

- اعطنى دقيقة لأحضر المضرب.

صعدت سوزان الدرج وحذاؤها يحدث صوتاً. احست هارييت بالارتباك حين وجدت نفسها وحيدة مع الصبى. ولتطرد هذا الارتباك، خرجت الى الحديقة وادارت وجهها لنسيم الصباح، ثم تنهدت عندما ادركت ان بول قد لحق بها ووقف خلفها.

- ما اجملك!

قال هذا بصوت منخفض بدون ان ينظر اليها فأجابته بغضب:

- لاينبغى ان تقول لى اشياء كهذه!

ثم اردفت:

- انا ... لا احب ذلك.

اقترب منها ولمس يدها، وسرعان ما ابتعدت عنه. هز كتفيه بلامبالاة.

وبرزت عضلات ذراعيه تحت قميصه القصير. كان تقريباً بوازيها طولاً، وايقنت كم هو كبير بالنسبة الى الصبيان من سنة فى انجلترا وتمتم وهو يقضم عشبة ويقترب منها:

- احب الطريقة التى تلفظين بها اسمى ياهارييت.

ثم اضاف:

- لماذا لاتأتين معنا؟ انت تعرفين اننى اتيت من اجلك!

قررت هارييت ان الموضوع تطور اكثر من اللازم، فإن تحس بتزلف

WWW.REWITY.COM مرورية

الصبى واعجابه شئ، وان تسمح بان يتمادى معها شئ آخر، مع العلم انها منعت رجالاً فى ضعف عمره من التصرف على هذا النحو معها.

- اعتقد انك تغوص فى مياه اعمق منك ياعزيزى.

لم تر رد فعله لأن سوزان عادت تلك اللحظة واضطر بول ان يستدير اليها.

- انا جاهزة.

بدا صوت سوزان فتياً وبريئاً فأدركت هارييت هول الورطة التى ستزجها فيها. كيف يمكن لفتاة فى عمر سوزان ان تدبر أمرها مع شاب مثل بول، هو، برغم صغر سنة، صاحب خبرة؟

- لقد حان وقت الغداء، ألا تظنان ان الحرارة شديدة للعب التنس الآن؟

اكفهر وجه سوزان وقالت بحده:

- قلت ان لا مانع لديك!

- صحيح... قلت لا استطيع ان أمنعك.

اجابت الخالة بجفاف وقطعت مسافة الحشيش الى الباب ثم استدارت وقالت لبول بتحد:

- سألتنا من قبل اذا كنا نحتاج الى مساعدتك. الآن فرصتك، ان الحشيش بحاجة الى قص.

صرخت سوزان لكن بول لم يسمعها لأنه كان يجيب هارييت:

- اذا كنت تحتاجين الى مساعدتى فكيف أرفض؟

تمنت هارييت لو انه اجابها بكلمات اكثر لباقة، وصرخت سوزان

ثانية كأنها مجروحة، ثم استدارت ودخلت البيت. نظرت اليها هارييت بقلق وهى تتساءل ان هى اخطأت بمنع الفتاة من الذهاب معه. لكن حين نظرت الى بول قررت انما فعلته هو عين الصواب، ولكن الى متى تستطيع ابعادهما عن بعضهما خصوصاً اذا آثر بول ان يستعمل سوزان كسلاح ضدها؟

لحقت بسوزان الى الداخل. وجدت الفتاة مستلقية على السرير فى حجرة النوم تجهش بالبكاء، وقفت هارييت مترددة على رأس الدرج، وهى تنتظر الى المشهد، ثم تنهدت وتقدمت نحو السرير.

- سوزان...

لم يجبها أحد، فجلست على حافة الفراش.

- سوزان.

لكن سوزان هربت منها وقفزت الى ناحية السرير الأخرى ثم استقرت مرتعشة امام طاولة الزينة.

صرخت هارييت فجأة:

- سوزان، كفى عن النظر الى هكذا، انت تعلمين انى ليست وحشا! انا... فعلت ما هو مناسب.

اجابت سوزان بمرارة:

- انت تحبين الأسترخاء طول النهار، وأنا صغيرة اريد ان أفعل شيئاً مختلفا ... ولأنك لم تتلق دعوة تتظاهرين..

- كنت مدعوة.

WWW.REWITY.COM

وتنهدت هاربيت وأكملت:

- ومع ذلك، لاشئ ياسوزان . اسمعى، لا أرغب بمنعك من اتخاذ اصدقاء. اذا جاءصبى او فتاة فى عمرك، سأكون أول من يشجع ذلك.

- ولكن بول فى عمرى!

هزت هاربيت رأسها وقالت:

- حسناً، يبدو انك لا تريدين الاصغاء الى كلامى.

كان بول يلوح بالمنجل فى الحديقة الخلفية، وقد نزع قميصه وجلده الأسمر دل على انه قلما يرتديه. لقد قطع ما يقارب ستة أقدام مربعة. والعرق يتصبب من وجهه.

وبالرغم منها، أثنت عليه هاربيت لأنه عمل بجد، وسارت نحو الباب ثم سألته:

- هل تريد ان تشرب شيئاً؟

انتصب بول وابتسم قائلا:

- وهل لى ان ارفض؟

ابتسمت هاربيت ودخلت المطبخ، لم يكن عندهما ثلاجة ولكى تبرد الأشياء كانت تضع زجاجات العصير على الأرض فى مكان لاتصل اليه الشمس. أخذت كوبا كأنها تزنه ثم أعادته الى مكانه اذ أحست ان بول يفضل الشرب من الزجاجة.

اقترب منها حين عادت، فمدت له الزجاجة وقالت:

- انك تعمل جيداً، ألف شكر.

رفع كتفيه وأكمل شرابه، ثم ألقى الزجاجة الفارغة من يده وقال:

- تظنين اننى أمارس لعبة معينة، أليس كذلك؟

تنهدت هاربيت وقالت:

- أظنك تتغابى، هل يعلم والدك انك هنا؟

- وهل هذا يهم؟

- لماذا؟ الأنك تعتقدين انه لايوافق؟

وتوقف قليلا ثم تابع:

- أم انك لا تريدينه ان يغار؟

انحبس نفسها فى حلقها وقالت بصعوبة:

- لا اعرف عما تتكلم.

- كلا؟

انتصب ثانية ونظر اليها قائلاً:

- انك تعرفين أبى، أليس كذلك؟

- لدى أعمال كثيرة تعيقنى عن التبارز معك بالكلام.

ثم استدارت ودخلت البيت.

كانت جالسة شاردة الذهن عندما ظهرت سوزان. دخلت تجر رجليها وأبت ان تنظر الى عينى خالتها. وسألتها بوقاحة:

- هل تمانعين اذا ذهبت وتكلمت الى بول؟

فرفعت هاربيت رأسها وقالت:

www.rewity.com مرور

- افعلى ما تشائين.

فاندفعت الفتاة الى الخارج بدون ان تزيد كلمة واحدة.

كانت الساعة تقارب الواحدة الا ربعاً حين ظهر بول فى باب المطبخ وشعره الطويل متدل على كتفيه بخصل رطبة وقال:

- الحشيش خلف البيت قد تم قصه. يلزمه الآن تنميق بالآلة، فهل عندك واحدة؟

هزت هارييت رأسها، فقال:

- سأحضر غداً لأقص عشب الحديقة الأمامية اذا أردت.

تركت هارييت عملها وقالت بنظرة مشفقة:

- لابد انك مرهق.

ثم نظرت الى خلف وأكملت:

- هل أنت...؟ حسناً، هل ترغب فى البقاء لتناول الغداء معنا؟

- من الأفضل ان أعود فلويز تتساءل حتماً أين أنا.

هذا الأسم ثانية!

- هل تريدين أن أعود غداً؟

- من المحتمل ان لا نكون هنا غداً. كنا نفكر بالذهاب الى بيناك.

- بيناك.

أومأ مفكراً ثم قال:

- سأحضر بعد غد فى حوالى الحادية عشرة.

توقف ثم تابع:

- وغداً ايضاً ان كنتما هنا أم لا.

أمطرت فى اليوم التالى. لم يكن شتاء ضعيفاً مثل ما يتوقع فى انجلترا، انما شتاء غزيرا ومركزاً بدا كستار رمادى حول البيت، ففرقت الأشجار والعشب، ولم تعد فكرة السباحة واردة.

انزعجت هارييت لأنها أملت ان تهرمه هذه الرحلة الجو بينها وبين سوزان، فالعلاقة بينهما سارت كهدنة حرب. أمضت سوزان النهار مسترخية تقرأ. اما هارييت فأخذت تقوم بتجارب فى المطبخ حتى ثخبزت كعكاً جميل المظهر لذيذ الطعم بدأ لها انها تتصرف كوالدة سوزان لا كخالتها.

لحسن الحظ أشرق الطقس صباح اليوم التالى وكانت هارييت فى المطبخ حين سمعت الباب يقرع.

نظرت من النافذة قبل ان تفتحه واذا بها ترى بول واقفاً فى الخارج. فتحت الباب وبادرته قائلة:

- بكرت فى المجئ.

أيد كلامها مجيباً ببساطة:

- اردت ان انتهى من قص الحشيش باكراً، نحن على موعد فى الحادية عشرة.

نظرت اليه باستسلام وقالت:

- حسناً، لكن لاتتصور ان تصبح هذه عادة. سآتى معك هذه المرة انما...

www.rewity.com

تنهدت باذعان وأضافت:

- تعلم أين تجد المنجل.

أخذ بول يشم الرائحة اللذيذة المنبعثة من المطبخ وسألها:

- ألا تقدمين لى فنجاناً من القهوة؟

هزت رأسها وأقفلت الباب فى وجهه.

هبطت سوزان السلم وعيناها ترفان. لابد انهاسمعت أصواتاً، نظرت حولها باستغراب عندما رأت خالتها لوحدها، فقالت هارييت:

- بول هنا وسيقطع الحشائش فى الحديقة الأمامية.

سارت سوزان الى النافذة ونظرت الى الخارج.

- أين هو؟

أجابت هارييت وهى تسكب فنجاناً من القهوة:

- أظنه يأتى بالمنجل.

٦ - أسوار ورياح

لما عادت هارييت الى الطابق السفلى وجدت الباب مفتوحاً وسوزان قد اختفت، فحزرت انها ذهبت لتتكلم الى بول. ابتعلت قهوتها الباردة ووضعت الفنجان فى المغسلة، نظرت الى ساعتها، انها التاسعة!

كان الصباح جميلاً للبقاء فى الداخل، فخرجت وهى تأخذ نفساً عميقاً، وتستنشق رائحة زهور الميموزا النامية بوفرة تحت النوافذ، رأت بول على مبعدة يطوح المنجل بانتظام وهو يقطع الأشواك المتشابكة والأعشاب المرتفعة تحت السياج، انما لم تر اثراً لسوزان.

وكالمعتاد انتصب بول واقفاً لدى رؤيتها وقال:

- ساعة اخرى وانتهى من المهمة.

اومأت هارييت وهى تتطلع حولها قلقة وسألته:

- هل رأيت سوزان؟

- اجل. طلبت الى ان ابلغك انها ذهبت للتنزه.

احست هارييت برعشة وفقدان صبر. هكذا اذن؟ حسناً، ستعرف

www.rewity.com

كيف تجاريها فى هذه اللعبة؟

رأت بول يتابع النظر اليها، فاندفعت تقول:

- هل تريد بعض العصير الآن؟

صوب المنجل الى الارض المكسوة بالعشب فسقط من يده على التراب وبرز كأنه علامة استفهام كبيرة. ثم مسح الشاب يديه على بنطلونه وعبر فسحة الحشيش باتجاهها.

تراجعت هارييت نحو البيت وقد ندمت على دعوتها له. دخل وهو يزيح شعره المبلل عن جبينه، فتناولت علبة من الزاوية، ولما وجدت انها تحتوى عصير ليمون تناولتها لكنها سقطت من يدها فشتمت بصوت منخفض وهى تلتقطها ثانية، راح بول ينظر الى هذا المشهد باهتمام، واقترب منها وهى تهم بفتح العلبة، قائلاً:

- دعينى اقوم بذلك.

لكنها رفضت طلبه وشدت بعنف على حلقة العلبة فافلتت من يدها وطرطش العصير الذى بداخلها صدر بول.

فشهق واضعاً يديه على صدره، وزال التوتر حين انفجرت ضاحكة، وظلت تضحك حتى دمعت عيناها. فخطف بول العلبة من يدها وتقدم يهدد بصب ما تبقى فيها فوق رأسها، اخذت تتراجع وهى مازالت تضحك ثم احست ان شيئاً ما يحجب النور عن الباب. التفتت الى الباب وهى تحس بالانقباض المعهود الذى ينتابها كلما رأت اندريه، التغير فى ملامح وجهها انبأ بول، فنظر حوله، وصاح صيحة تعجب

وتوقف عن اللعب واضعاً العلبة على الطاولة واستدار ليواجه أباه.

انتصب اندريه من اتكائه على حلق الباب، وتساءلت هارييت منذ متى وهو يراقبهما. ثم دخل الغرفة وتعجبت حين رأت سوزان خلفه، قال يسأل ابنه:

- ماذا تفعل هنا بابول؟

تكلم بالانجليزية لتفهمه سوزان، واردف:

- فهمت من لويز انك تقوم بعمل مؤقت.

- اجل.

وضع بول اصابعه داخل حزام بنطلونه، وشعرت هارييت بلهجته العدائية، فتدخلت قائلة:

- ابنك كان بغاية اللطف اذ قص العشب فى الحديقة الامامية والخلفية. قطب اندريه حاجبيه قائلاً:

- هكذا اذن.

استعد الشاب للهجوم، ونظره يرف بغضب فى اتجاه الفتاة الواقفة خلف والده وسأله قائلاً:

- هل اخبرك احدهم عكس ذلك؟

ارتجف فم سوزان لكنها لم تقل شيئاً. وفهمت هارييت بخوف ان بول قد اصاب الحقيقة، فقالت للفتاة بخيبة:

- اوه سوزان! لا يعقل ان تفعلى ذلك!

لكنها فهمت من وجه سوزان العابس انه المذنبة. كبح اندريه

www.rewity.com

جماح غضبه وقال بهدوء:

- أنت ابنة اختك لتقول لى ان ابنى هنا.

وتساءلت هارييت كم اختصر من نميمة سوزان. وتابع اندريه قائلاً لابنه:

- بول، جدتك تنتظرك لتصطحبها فى نزهة، ربما الآنسة انغرام تسمح لك بانهاء قص العشب فى يوم آخر.

ارتبكت هارييت وقالت:

- لم اعرف هذا. كان عليك يابول ان تخبرنى!

فسألها بول بغضب:

- وهل تصدقين هذا الزعم؟

لكن والده وضع يده على كتفه فحاول بول نزعها متمتماً:

- حسناً، حسناً، انا ذاهب!

غمز بول هارييت ثم نظر الى سوزان، وخرج من المطبخ وخطف قميصه وهو يمر بالدرب، لاحقته سوزان بنظرها وشفتاها ترتجفان. لكن هارييت لم تشعر بالشفقة نحوها، فهى ذهبت الى القصر واحضرت اندريه لتمنعهما من الذهاب الى السباحة، وفى هذا التصرف نوع من الحقد. قالت لها:

- من الأفضل ياسوزان ان تصعدى الى غرفتك.

وأسرعت سوزان وهى تشهق واغلقت الباب خلفها بعنف.

بقيت هارييت لوحدها مع اندريه ونظرت اليه بعدم ارتياح

متسائلة لماذا بقى.

لم يقم بأية حركة تنبئ بانه ينوى الذهاب. اخذت هارييت نفساً عميقاً ثم قالت:

- اعتذر ان كان بول يهمل عائلته. هل انت...

ولم تكمل اذ انفجر اندريه يهتف حانقاً:

- ماذا تحاولين ان تفعلى بى يا هارييت؟ لقد أتيت هنا وسكنت فى بيتى! هل تتوقعين منى ان أتجاهل وجودك كما لو كنت غريبة؟ هل تظنين اننى مصنوع من الخشب؟

- ارجوك، اريدك ان تذهب الآن.

- انت حمقاء ياهارييت.

لم يقل كلمة ثانية ثم استدار وغادر البيت.

بعد ذهابه، تحركت هارييت على ساقين بدتا عاجزتين عن حملها، لم تواجه موقفاً كهذا ابداً، وحاولت نسيانه فلم تستطع. هل جلبت كل هذا لنفسها؟ هل اشعل تصرفها الأحاسيس القديمة التى كانت بينهما؟

حركة على السلم اعادت اليها رشدها فرأت سوزان تتربص خلف الباب المشقوق. طغى الغضب على أحاسيسها لأن الفتاة كانت مسئولة عما حدث. لكن هل تستطيع ان تلوم سوزان؟ لا يجب أن تلوم احدا سوى نفسها؟ قالت بعصبية:

- ادخلى! هيا، ادخلى!

www.rewity.com

فدخلت سوزان المطبخ وعيناها الحمراوان تشهدان على التعاسة التى تشعر بها. قالت بصوت متهدج وهى تحاول الكلام بوضوح:

- هارييت! انا ... اعتذر.

حاولت ان تتصرف بشكل طبيعى، رفعت يديها لتلمس شعرها الحريرى وقالت بسرعة:

- يجب ان تكونى نادمة، لكن ماحدث قد حدث، واسترحت على الأقل من مشوار السباحة.

تلكأت سوزان عند باب الدرج وسألت:

- هل اردت الذهاب فعلاً؟

تنهدت هارييت قائلة:

- اظن ياسوزان اننا انتهينا من هذا الموضوع، ومن الأفضل ان نقوم باعمال الحديقة.

اليس كذلك؟

اخذت هارييت تضرب المنجل. وافادها هذا العلاج، فيما راحت سوزان تجمع العشب وتكومه فى مؤخرة الحديقة. ثم ارهقهما العمل فتوقفتا من شدة الحر وراحتا تستحمان فى الجدول وتستمتعان بالماء البارد العذب ينساب على جسميهما. كان صباحاً طويلاً وستعقبه نهاية نهار أطول.

وعند المساء، بينما هما تستعدان للنوم. قالت سوزان:

- هناك كدمة على ذراعك.

كانت تعلم بوجود رضوض عديدة على جسمها ولم تشأ ان توضح لسوزان سببها.

ان الاسوأ قد ولى بعدما حصلت المواجهة التى توقعتها منذ اللحظة الأولى والتى شاهدت فيها اندريه، وصار عليها الآن ان تتابع حياتها وتتناسى كل من يمت بصلة الى عائلة لاروش، لكن فى اوقات الفراغ كانت هذه الافكار تعاودها ولم تستطع كبتها، واصبح النوم مهمة اكثر منه ضرورة.

أبدت سوزان استعداداً لتخفف عنها. كان واضحاً انها نادمة على ما فعلت، ومع انها لم تدرك انها هيجت الأفعى فى وكرها احست ان الواقعة التى حركتها قد احدثت مضاعفات لم تدرك عواقبها.

ذهبت هارييت وسوزان الى الدوردون لتشاهدا المنطقة وصممت هارييت على ان تفعلا ذلك فزارتا قصر روكامادور الذى يقف برشاقة فوق وادى الالزو وسارلات بجدرانه الصفراء وقرميده الأبيض، وزارتا بريجو، عاصمة البريجور، وكاتدرائيتها ذات القباب وأبنيتها القديمة الجميلة. وأخيراً برجوراك حيث قامتا بزيارة الى كروم العنب. أجمل نزهة تذكرها هارييت، كانت الى مغاور بشميرل، حيث دهاليز الكهف تهبط الى اكثر من ميلين نحو الوادى السحيق وتتحول الى غرف. كانت حلم علماء الكهوف لأنها تحتوى على رسوم لحيوانات كانت تجوب الأرض منذ اربعين ألف سنة.

شاهدتا كذلك اثار اقدام متجمدة لانسان ما قبل التاريخ، محفوظة الى الأبد فى طين كربونى مترسب. وحين خرجت هارييت من المغارة، غمرتها نشوة واحساس بخلود الانسان. لو استطاع المرء ان

يطبق الدروس على حياته الخاصة لأدرك سخافة مشاكل الانسان بالمقارنة مع هذا المقياس التاريخى الطويل.

بعد اسبوع ذهبت هارييت تشترى بعض الأغراض فى روشلاك فأوشكت ان تصطدم ببول. كانت خارجة من دكان الحلويات والشمس فى وجهها، فأخذت تبحث عن نظاراتها عندما ظهرت قامة طويلة امامها، بدأت تعتذر لكنه بادرها قائلاً:

- مرحباً هارييت.

- بول!

دفعت بنظارتها على أنفها، ونظرت اليه بدهشة وعدم ارتياح وقالت:

- انها لمفاجأة.

- حقاً؟

نظر حوله ثم سألها:

- هل انت وحدك؟

نقلت سلتها الى ذراعها الاخرى واجابته:

- اجل، سوزان تأخذ حمام شمس فالطقس فى غاية الجمال.

- أجل.

ادخل ابهامه فى جيب بنطلونه الخلفى وبدا مكتفياً بأن يقف معها وينظر اليها بينما يشاهده نصف سكان روشلاك الحائمين حولهما باهتمام. وفكرت هارييت بانزعاج، هؤلاء الناس يعرفون من

هو... ثم أرغمت نفسها على الابتسام قائلة:

- حسناً، سررت لمشاهدتك ثانية يا بول..

- هيا، تعالى نتناول كوباً من العصير او فنجاناً من القهوة.

هزت رأسها قائلة:

- كلا لا أظن...

- لم لا؟ تذكرى انك مدينة لى بشئ.

تحركت هارييت بضيق وقالت:

- بول، انت تعلم انها فكرة غير لائقة.

- أبسبب والدى؟ انا اعلم لأنه اخبرنى.

انذهلت هارييت وقالت:

- ماذا أخبرك؟

- اخبرنى انكما تعرفان بعضكما منذ سنين عديدة! وانك لاتحبينه.

ترددت هارييت وقالت:

- بول، اننى متأكدة ان هناك فتاة اخرى تتوق لكى تدعوها..

فأجاب بحنق:

- كسوزان مثلاً؟

تنهدت وردت:

- حسناً، حسناً سأتناول فنجاناً من القهوة معك.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

كانت الطاولات منتشرة تحت الشمس، فاختار بول احداها، وطلب من احدى المضيفات ان تأتيهما بقهوة فنظرت الى هارييت باعجاب قبل ان تذهب. وسألته هارييت بمكر وهى تسند مرفقيها على الطاولة:

- هل اصطحبت جدتك فى نزهة؟

اجاب بحنان:

- لويز؟ اجل اخذتها.

لم تستطع هارييت منع نفسها من سؤاله:

- لويز؟ أهذا اسم جدتك؟

اومأ بول:

- لويز مارى تبريز لاروش. انها جدة والدى.

- فهمت.

- هل ترغبين فى لقائها؟

- كلا.

وهزت رأسها بسرعة. كان هذا آخر شئ تريده، وتابعت متلعثمة:

- أقصد... لم احلم بـ... بـ...

- .... ان تزورى بيت أبى.

تنهدت هارييت:

- شئ كهذا. حسناً، لقد جاءت القهوة. يا لرائحتها الزكية.

قدوم المضيفة منحها فترة استراحة من اسئلة بول الثاقبة.

وافتعلت اهتماماً بالغاً بفنجان القهوة، لكنه عاد الى الحديث فجأة:

- قال والدى انك تعيشين فى لندن.

- هل تهتم بالتحف القديمة؟

هز بول رأسه قائلاً:

- كلا! لكننى أحب العيش فى لندن.

- وماذا ستفعل فى لندن؟

- سأجد عملاً. سأعزف على الجيتار.

- فهمت. أنت تعزف على الجيتار، اذن دعنى أقول يابول انه يوجد مئات من الشبان مثلك فى لندن..

- هذا ما يقوله لى والدى، لكنه لايعلم اننى أجيد العزف عليه. اعرف اننى جيد. ليتنى استطيع الذهاب الى لندن، وأحظى بعمل فى فرقة موسيقية.

- لماذا لاتفعل ذلك فى باريس؟

- لأننى اريد الذهاب الى لندن.

انتهت هاريت من احتساء القهوة وقالت:

- يجب ان انصرف الآن.

اخذت حقيبتها من السلة، لكنه تدخل عندما رآها تفعل ذلك وقال:

- أنا سأسدد الحساب.

فلم تعترض هارييت.

www.rewity.com

كانت الساحة الصغيرة مزدحمة اكثر من المعتاد، فأخبرته انها تركت السيارة فى خارج القرية.

- اشكرك يابول على ضيافتك.

الا انه لم يستأذن بالانصراف وقال باصرار:

- سأتمشى معك.

واضطرت الى القبول. كانت الشمس حارة جداً وما لبثت ثيابها ان التصقت بجسمها. لكنها لم تتمهل فى السير اذا أرادت ان تفهم الشاب انها لاتنوى ان تتأخر.

وعندما وصلت السيارة فتحت الباب والقت بالسلة على المقعد الخلفى. وقف بول ينظر ويده فى جيبه. ابتسمت هارييت وهى تفتح الباب الامامى وقالت:

- حسناً... الآن استودعك الله.

ادار بول وجهه الشمس قائلاً:

- لماذا لاتأتين الى البيت للقاء لويز؟

انقبض قلب هارييت وردت:

- لا استطيع ذلك.

- لن ترى ابى، اعدك بذلك، انهم يقطفون الثمار وسوف يغيب طول النهار.

فقالت وقد وجدت مبرراً للخلاص منه:

- ولماذا لا تعاونه؟

قطب الشاب ورد بامتعاض:

- هذا يوم راحتى، والعمل فى الحقول يؤذى يدى.

صعدت الى السيارة بتصميم وقالت:

- آسفة يا بول انما يجب ان اعود خشية ان تقلق سوزان.

اغلقت الباب وراءها، وانزلت الزجاج برغم جو السيارة الخانق وقالت:

- الى اللقاء.

ابتعد بول قليلاً ورفع يده لتحيتها، فانطلقت بشعور من الهرب لكنها شاهدت وجه الصبى الحائر فى المرآة، فخالجها احساس مزعج بأن هذه لن تكون المرة الأخيرة التى ستراه فيها.

غمرتها الحيرة وهى تقود السيارة وفكرت بالشاب.

لم يذكر والدته، ولا اخوة له او اخوات. جدته الكبرى هى الشخص الوحيد الذى ذكره عدا والده ولابد انها فى سن متقدمة جداً، فى الثمانين على الأقل، وتبدو كأنها ذات أهمية فى العائلة.

لم تجد اثراً لسوزان عندما قادت سيارتها على درب البيت واحست برعشة خوف. لقد تغيبت اكثر من ساعة وبالتأكيد لم يحصل شئ فى اثناء غيابها... كان من عادة سوزان ان تخرج لملاقاتها ولكنها ولم تفعل هذه المرة.

اوقفت السيارة، وخرجت مسرعة دون ان تأخذ السلة من المقعد الخلفى، ومشت بسرعة على الممر ودخلت البيت وهى تنادى:

- سوزان.. سوزان. اين انت؟

WWW.REWITY.COM

لقد شاهدت بقعاً مخيفة على ارض المطبخ وتخيلت انها من الدم ثم سمعت انيناً صادراً من الصالون. ذهبت لتستخبر الامر وساقاها ترتجفان. توقفت عند باب البهو الصغير وشهقت بخوف. كانت سوزان مستلقية على الأريكة شاحبة الوجه والدم ينزف من رباط تحت ركبتها. صرخت هارييت:

- سوزان!

وشعرت بغثيان من منظر الدم.

- يا الهى!

أحست بخور فى ساقيها فاتكأت على حلق الباب. وللحظات قصيرة شعرت الغرفة تدور حولها من تأثير الصدمة والحر الشديد. وهتفت سوزان منتحبة:

- هارييت... كم انا سعيدة لأنك عدت... كنت خائفة جداً.

فاندفعت نحو سوزان لتقدم لها العون بقدر المستطاع وعيناها تنظران الى الجرح لترى مدى خطورته. كيف حصل هذا؟ من البديهى ان سوزان جرحت رجلها ولكن أين؟ وبماذا؟ وبدا ان سوزان لن تتوقف عن البكاء ابداً، فهتفت خالتها أخيراً:

- حبيبتى، هيا، اخبرينى ماذا جرى؟

شهقت الفتاة فناولتها هارييت منديلاً وأيقنت انه يجب الاسراع باتخاذ اجراء ما لأنها كانت تترف كثيراً. وقالت سوزان بفزع:

- انه المنجل... كنت احاول قطع ما تبقى من العشب.. الحشيش الذى لم يكمل بول قطعه.

أحست هارييت بموجة من الهلع تسيطر عليها وصرخت:

- المنجل!

إن أى حادث يمكن ان يكون خطيراً لأنهما على بعد أميال من اى مستشفى، ولا تعلم ان كان هناك بالجوار طبيب. يجب ان تتصرف بسرعة ولكن كيف؟ قالت لنفسها، اسرعى فى التفكير، وتصرفى بهدوء. لا تدعى سوزان ترى انك تفقدين رباطة جأشك.

ركعت على الأرض وهى تبتسم لسوزان مشجعة، ثم نزعت الرباط برفق لتكشف الجرح، ووجدته اسوأ مما تصورت، اذ يبلغ طوله بضع بوصات ويلزمه خياطة، ولم تستبعد خطر الالتهاب لأن المنجل ملوث.

- يجب ان أضع رباطاً حول ساقك لايقاف النزيف.

قالت هذا بصوت عادى، ثم اضافت:

- يجب ان نذهب الى الطبيب.

كانت تحاول ان تظهر براعة فيما تفعل وتوحى بالاطمئنان للفتاة. لم تكن تخاف منظر الدم، لكنها لم تر فى حياتها جرحاً كبيراً ونزيفاً شديداً كهذا ولم تكن لديها خبرة بمثل هذه الأمور. ليس فى البيت خزانة أدوية، وكل ما لديها بضع حبات من الاسبرين ولا شئ آخر يساعد على تخفيف آلام سوزان. كانت سوزان تثق بما تفعله خالتها وهى تتكلم بلطف لقد عصبت ساقها بجورب من النايلون وشدته حتى انقطع النزيف. لكن وجه سوزان كان شاحباً جداً.

قالت الفتاة بارتعاد:

- الى اين سندهب؟

- لنجد طبيباً.

لكن الفكرة مشكوك فيها ومع ذلك يجب ان يكون هناك طبيب فى روشلاك.

بالرغم من نحولها كانت سوزان ثقيلة الوزن على هاربيت وبعد عدة محاولات فاشلة ومؤلمة قالت سوزان بشئ من الواقعية.

- يجب ان امشى.

لكن حين حاولت النهوض فقدت وعيها تقريباً فقالت لها خالتها:

- ابقى حيث انت.

تطلعت اليها سوزان بلهفة فتنفست بعمق واردفت:

- سأذهب... لأتى بشخص يساعدنا.

استلقت الفتاة على الوسائد وسألتها:

- بمن ستأتين؟

فردت بصوت فاتر وقد غلبت على امرها:

- سأتى ببول.

٧ - لاتتركينى هنا

كان المشوار الى القصر كالكابوس. لم تذهب اليه من البيت من قبل فعلقت فى الشوك والنباتات الزاحفة واضطرت الى تغيير طريقها وسلوك الطريق المحاذى للغدير. ربما كان الأمر سهلاً لو لم تكن يائسة، لكن السير استغرق وقتاً طويلاً، ومعرفتها الضئيلة بجغرافية المكان لاتتيح لها اضاعة مزيد من الوقت.

لماوصلت الجسر الذى يمر فوق الجدول تحسنت الدرب. أزاحت شعرها الى الوراء واستمرت فى السير مع انها تاقت الى تغطيس وجهها فى الماء البارد بعد تسلق آخر وصلت الهضبة الموازية لأسوار القصر. استجمعت قواها، وسلكت الدرب الممتد الى الجهة الامامية من البناء، هل تجد بول فى البيت؟ لقد تركته منذ ساعة تقريباً فى روشلاك، فهل عاد الى البيت، واذا لم يفعل، بمن ستستنجد؟

بوابات القصر الكبيرة تبدو كحارس فخور بآثاره، من المستحيل ان لا يتأمل المرء الجدران المكللة بالشرفة الرائعة. كانت تقصد البيت ذا الجدار الخلفى الملتصق بحصن القصر وخارت قواها عندما رأت الباب المقوى بالقطع الحديدية والجرس المتدلى بقربه. ماذاعساها تقول؟ كيف تعرف عن نفسها؟ طلبت من الله ان يكون بول هناك!

WWW.REWITY.COM

دقت الجرس الذى رن بحزن بين جدران البناء الحجرى، ووقفت تنتظر حتى يأتى احد ويفتح لها الباب، لكن الصمت دام طويلاً بعد ان سكن طنين الجرس فدقته ثانية وقد فقدت ما بقى عندها من صبر لتعود لسوزان. ولما استمر الصمت كادت تقفل راجعة والدموع تملأ عينيها، فسمعت صوت مفتاح فى قفل الباب فاستدارت بينما البوابة الكبيرة تتأرجح الى الداخل، ظهرت سيدة عجوز تتكئ على عصا من الفضة، وسألتها بالفرنسية:

- نعم؟

استجمعت هارييت هدوءها بصعوبة، لابد انها لويز، ورأت انها لا تبدو عجوزاً كما توقعت.

- انا...

بدأت كلامها بالانجليزية ثم انتقلت الى الفرنسية:

- اننى آسفة لازعاجك سيدتى، لكننى أريد التكلم مع حفيدك بول.

عبست السيدة العجوز، وحدقت اليها بعينين رماديتين تشبهان عينى اندريه.

- لماذا تريدين محادثة حفيدى يا آنسة؟

فصرخت هارييت بيأس:

- أوه، ارجوك ، أهو هنا؟

- آه، لابد انك الأنسة انغرام أليس كذلك؟ وأنت التى اشتريت المزرعة القديمة.

- اجل، اجل.

لم يكن لديها وقت لتتبادل المجاملات.

- هل بول هنا؟

- كلا ليس هنا.

ضاعت امال هارييت عند سماع كلماتها، وقالت العجوز:

- انه فى روشلاك يا آنسة.

- هل يوجد احد بامكانه مساعدتى؟ أخوه مثلاً او والدته؟

- ليس لبول أخوة يا آنسة ولا أخوات. لو كان الأمر كذلك لتنافس معهم على ارضاء ابيه.

لم تستطع هارييت ان تتأخر. فاستأذنت بالانصراف وقالت:

- ان لم اجد احداً هنا بامكانه مساعدتى، فيجب ان اعثر على من يساعدنى...

هزت السيدة العجوز رأسها قائلة:

- اى، أى ، أى، انتم الشباب ليس لديكم الوقت لتقفوا وتكلموا سيدة عجوزا.

- الأمر ليس كذلك.

نظرت هارييت اليها مستسلمة واردفت:

- ابنه اختى لوحدها وعلى احضار احد لاسعافها.

www.rewity.com

- آسفة يا آنسة:

هزت العجوز رأسها، واستدارت بحركة وأقفلت الباب فى وجهها.

وقفت هارييت تنظر الى الباب مشدوهة ثم استدارت وعادت ادراجها على طريق الوادى، كان فمها جافاً، وتاقت لشربة ماء أنما لا وقت الآن.

وأخيراً وصلت الدرب وشاهدت المنزل امامها... يجب ان تتدبر الأمر مع سوزان لتصلا الى السيارة، ثم يصبح الأمر سهلاً لايجاد عون. ربما الآن بعدما ارتاحت سوزان تستطيع المحاولة.

دخلت هارييت المطبخ وأحست بالارتياح. لقد تركت نظارتها الشمسية فى السيارة وارتاحت حين شعرت بالظل. تقدمت نحو باب الصالون ووقفت بذعر عندما رأت ابنة اختها تبدو فاقدة الوعى! لسبب ما حاولت ان تجر نفسها من على الاريكة وفى اثناء ذلك انفك الرباط فسقطت على الارض وعاد الدم ينزف من ساقها.

- يا آلهى!

وضعت هارييت يدها على فمها. لاتستطيع تحريك سوزان لوحدها الا اذا جرتها الى السيارة. اسرعت الى الامام وخرت على ركبتيها قرب الفتاة البائسة وفى لحظة ربطت ساقها مجدداً وعندما لم تتحرك سوزان وقفت تنظر اليها بائسة. لم تجرؤ على تركها وحدها خشية ان تستيقظ وتلحق بنفسها ضرراً ما. يجب عليها بأية طريقة ان تأخذ الفتاة الى السيارة وربما من الأفضل ان تبقى فاقدة الوعى لأن الذى ستفعله هارييت قد يؤلمها.

اذا استطاعت ان تضع سوزان على بساط ثم تجرها الى السيارة، ربما الأمر يكون اسهل. عادت الى المطبخ. قطع السجاد التى اشترتها لهذه الغرفة الصغيرة جداً، لكن جلد الخروف بين السريرين قد يصلح اكثر.

اسرعت تصعد الدرج، متناسية الألم فى ساقيها ثم مسحت يديها على بنطلونها وهى تقول لنفسها، ابقى هادئة، ولم تفلح. نزلت الدرج مسرعة وكادت تسقط لأن اصابع قدمها علقت بالسجادة وارتجفت قائلة لنفسها بصوت عال، حاذرى!.

ولدى دخولها المطبخ رأت جسماً طويلاً يظلل فتحة الباب فشهقت وهتفت:

- يا الهى! اندريه!

وسأل بصوت أجش:

- ما الأمر؟ ما الذى حدث؟

انتبهت هارييت لشحوب وجهه وقالت بصعوبة بالغة:

- انها سوزان! لقد وقع لها حادث بالمنجل... انا... انا ذهبت الى القصر...

- اعلم انك فعلت. لذلك انا هنا.

- اوه!

ازاحت شعرها الى الوراء وتابعت:

- اذن جدتك...

- قالت فقط انك اخبرتها قصة غير مفهومة عن حاجتك لمساعدة بول.

نظرت هارييت اليه وردت متلعثمة:

- بول... بول قال لى انك غائب.

هز رأسه بحيرة وقال بخواء:

- بول الذى قال هذا؟ ستخبريننى فيما بعد. اين هى؟

- هناك.

اقتادته هارييت الى الصالون فركع قرب الفتاة الغائبة عن الوعى. وضع ابهاميه على جفنيها وفتح نقرتى عينيها ثم انتصب ونظر الى الدماء على المقعد.

- لقد نزفت بشدة اليس كذلك؟

- اجل.

- سآخذها الى شيرون فى بلسوربو.

- الا يوجد اطباء فى روشلاك؟

- اجل، لكنهم لن يتمكنوا من عملية نقل الدم.

- ضعى البطانية على الاريكة.

ثم أضاف:

- اذهبى وافتحى الباب.

- الباب؟ انه مفتوح.

احست هارييت انها تتصرف بغباء، وافهمها اندريه بصوت هادئ.

- باب سيارتى.

- لم اعرف انك اتيت بالسيارة!

كانت تقف سيارة سيتروين مغطاة بالغبار، فتقدمت اليها بسرعة وفتحت الباب الخلفى، ونظرت الى الوراء عندما سمعت اندريه يناديها:

- هل ستأتين معنا؟

وعندما اومأت، تابع قائلاً:

- اذن من الأفضل ان تقفلى باب البيت.

- اجل.

وسرعان ما سلكوا الطريق المؤدى الى بلسوربو. كتب على اللافتة ان البلدة تبعد سبعة كيلومترات، وأحست هارييت بارتياح. كانت المسافة اقل من خمسة اميال، وقطعها لا يستغرق الكثير من الوقت خصوصاً ان اندريه يعرف الى اين يذهب.

القت نظرة جانبية على الرجل الذى يقود السيارة بثقة وبيدين نحيلتين. يجب ان تشكره، ولم يكن من السهل ان تكون مدينة له. لقد عامل سوزان بغاية الرفق، واحست بالحسرة للطريقة التى عاملته بها فى لقائهما الأخير ولكن لم لا؟ فهو الذى تسبب فى حقدها عليه، والله يعلم ان لديها كل الحق لتكرهه.

WWW.REWITY.COM

تحركت سوزان، فانتهزت هاريت هذه الفرصة لقطع حبل الصمت وقالت:

- كيف تشعرين؟

ارتجفت شفتا سوزان وهى تجيب:

اشعر برعشة وحرارة.

ارادت ان تزيح الغطاء لكن اندريه نظر اليها عبر كتفه وقال:

- دعيه عليها.

كانت بلسوربو اكبر بقليل من روشلاك وتقع فى الناحية المنخفضة من الوادى. جسر مقوس فوق خندق مائى اوصلهم الى ساحة البلدة الصاخبة ونافورة تسكب الماء فى حوض حيث يلعب الأولاد.

قطع اندريه الساحة، ودخل زقاقاً مرصوفاً بالحجارة، ادراج حديدية قادت الى منازل فوق مرائب كانت فى القديم اسطبلات للخيول. خرجت هاريت من السيارة وثيابها مشوشة فرأت اللافتة التى كتب عليها عيادة الدكتور شيرون وتململت بينما اندريه يحمل الفتاة ليخرجها بهما لأنها رأت اندريه يصعد الدرج باتجاه الباب المطلى باللون الأبيض. ليس من المعقول ان تنهار الآن بعد ان انتهت الازمة.

استقبلتهم ممرضة بدا انها تعرف اندريه جيداً مما ساعده فى تعجيل الأمور. عثر على الدكتور شيرون بدقائق، وجرت سوزان على نقالة الى غرفة العمليات الصغيرة. وفيما هى جالسة مع اندريه فى غرفة الانتظار، سألها:

- هل انت قادرة على اعطائهم بعض التفاصيل عن سوزان؟

تنهدت بصعوبة وقالت:

- اظن ذلك. لا حاجة لأن تنتظر معى، فقد يستغرق هذا بعض الوقت.

فقطب اندريه وقال:

- هل تعتقدين انها ستترك هذا المكان اليوم؟

وعندما رأى الوجوم على وجهها، اكمل:

- من الأكيد انهم سيبقونها هنا على الأقل لمدة أربع وعشرين ساعة للمراقبة.

- اننى... اننى لم اتوقع هذا...

وضعت يدها على رأسها كأنها تحس بدوار وسألته:

- هل تعتقد انها ستكون على ما يرام؟

- فقدت كمية كبيرة من الدم ولكن هذا لن يعيق شفاءها فى عصرنا هذا. الخطر الوحيد هو الالتهاب وأنا واثق من ان شيرون سيعطيها كل الحقن اللازمة.

فركت هاريت يديها ثم احنت رأسها قائلة:

- اذن، لست بحاجة الى تضييع وقتك بعد الآن.

صمت اندريه فترة قصيرة ثم قال بهدوء:

- هل قلت اننى أضيع وقتى؟

- كلا، ولكن.. من الواضح انك تضيعه.

ضمت راحتيها بقوة وتابعت:

- لا اعرف كيف اشكرك على مساعدتك لنا.

فذكرها اندريه قائلاً:

- لكنك لم تطلبى منى العون، أليس كذلك؟ ربما تستطيعين الآن ان تقولى لى كيف تورط بول بكل هذا. هل ازعجك ثانية؟

اجابت بارتباك:

- كلا... نحن التقينا هذا الصباح فى روشلاك... تناولت القهوة معه...

- بينما كانت سوزان تقطع العشب؟

احتجت هاريت وهى تنتهد:

- لم اعرف انها كانت تقلم الحشيش. وبصراحة لم استطع ان ارفض دعوة بول.

فقال بلهجة جافة:

- مما يسترعى الانتباه أنك لم تستعملى الاعتبار نفسه معى، لم تكن عندك محاذير كهذه بالنسبة الى.

ازعجها اندريه والغرفة التى يجلسان فيها صغيرة فأدارت نظرها عنه. حتى وهو يرتدى بنطلون جينز ملطخاً بالوحل، وقميصاً من القطن الخشن، كانت له جاذبيته.. وكلما أمضت وقتاً أطول معه كلما صعب عليها ان تتناسى آخر مرة التقيا فيها.. قالت لتقطع الصمت الثقيل:

- اتساءل ان كان سيطول بقاؤهم فى الداخل؟

فابتعد ووقف ينظر من خلال النافذة، ثم سألها فجأة:

- من اعطاك فكرة شراء بيت فى الدوردون؟

فوقعت يديها فى جيبى بنطلونها كى لايرى ارتجافهما وقالت:

- كنت أحب دائماً هذه الناحية من فرنسا. وقال لى تشارلز ان توظيف المال فى البيوت شئ مربح.

قال:

- تشارلز.

وهز رأسه.

- أجل تشارلز هو كنى، رب عملى... انا متأكدة انك تذكره.

لم تستطع ان تحذف السخرية، فاستدار ونظر اليها بغضب وقال باستفزاز:

- بالله عليك ياهاريت، تكلمى معى كما تتكلمين مع ابنى! قولى لى، ماذا كنت تنتظرين ان أفعل؟

- انت تسألنى هذا!

شهقت واردفت وهى تشيح عنه:

- حسناً ياسيدى... هل على ان اناديك كونت؟ قل لى، كيف زوجتك؟

فاستشاط غضباً. ثم قال بأسى:

WWW.REWITY.COM مـرمـوريـا

- ألم يقل لك بول ان والدته توفيت؟

- ماتت!

لم تستطع ايقاف نفهسا واكلمت متلعثمة:

- أنا .. كلاً! طبعاً لم يقل لى.

ثم غطت عنقها بكفيها وسألته:

- لماذا لم تخبرنى؟

- هل كنت استمعت الى؟ توفيت منذ ستة أشهر.

- ستة أشهر؟

لم تستطع هاربيت منع نفسها من اعادة كل ما يقوله ... وتابعت:

- اننى... اننى آسفة.

- الموت يمكن ان يكون تحرراً. فى كل حال، أقبل تعازيك.

نظرت اليه هاربيت بعدم ارتياح وقالت:

- هل كانت... أكانت تعانى من مرض؟

تقلصت شفتاه ورد باختصار:

- نعم . كانت مريضة.

- هل مرضت طويلاً؟

تنهد قائلاً:

- نعم، كان مرضاً مزمناً.

- منذ متى؟

فجأة كان لابد لها ان تعلم، فسألها:

- وهل الأمر يهمك؟

- احب ان اعرف.

نظر اليها باتزان ثم قال:

- منذ عشر او احدى عشرة سنة.

- احدى عشرة سنة!

ارتاعت هاربيت. هذا يعنى.. فى اثناء لقاءاتهما تلك.. غطت وجنتيها بكفيها وابتعدت عنه لتفصل بينهما الغرفة الصغيرة... فقال بوجوم:

- مسمار آخر يدق فى نعشى، أليس كذلك؟ اجل، كانت عليلة عندما كنت القاك. هذا ما تريدين سماعه، اليس كذلك؟

- لا اريد سماعه.

فأجابها:

- لكن هذا يروق لك وربما يعطى تبريراً للطريقة التى تعامليننى بها؟

شدت هاربيت شفتيها المرتجفتين وقالت:

- هذا لايسرنى ابداً.

اعوجت شفتاه بعصبية واجابها:

WWW.REWITY.COM مـــروايـــة

- كلاً، لدى انطباع واضح بانك تفتشين... كيف تعبرين عن هذا... انك تؤججين نار كراهيتك والآن انت سعيدة.

- هذا ليس صحيحاً.

كان يبتعد عنها ويفتح باب غرفة الاستقبال ثم تركها وحيدة وهى تشعر باحساس مرهق وبأنه على حق. من الممكن ان تحتقره، لكنه الرجل الوحيد الذى يستطيع تدمير أى دفاع عنه.

تقدمت نحو الباب لتسمعه يخاطب الممرضة. كان يسألها عما يدور فى الداخل، فأكدت الممرضة له وهى تبتسم ان الدكتور شيرون سيقابلهما بعد قليل. احست هارييت بانقباض مؤلم فى عضلات معدتها. ارتكزت على الحائط قرب الباب وهى تحاول استعادة رباطة جأشها انما بدون جدوى. أحست بغثيان ثم تقيأت ولم تستطع منع نفسها من ذلك. احست بقدوم اندريه والممرضة، وبدا على وجه كل منهما الاهمام. وأطبق اندريه اصابعه النحيلة على ذراعها وجرها برفق خارج الغرفة عبر بهو الانتظار والى الباب الخارجى. السلم الحديدى كان فى الظل ونسيم خفيف يمر فى الزقاق ويلطف وجنتيها.

اتكأت على الدرابزين وهى تبتلع الهواء المنعش وبدأ الغثيان يتلاشى.

وتأوهت قائلة مخاطبة نفسها:

- ماذا ستقول عنى الممرضة؟

لكن اندريه سمعها، فقال وهو يتكىء قربها على الدرابزين:

- من تقصدين؟ الآنسة دوبوا؟ انها ممرضة ومعتادة على المرضى.

نظرت اليه هارييت قائلة:

- انا لست المريضة. كان يجب ان اسأل عن مكان الحمام. فرك اندريه انفه متأملاً وقال:

- من الواضح انه لم يكن لديك متسع من الوقت.

نظرت اليه بسرعة، معتقدة انه يهزأ بها، لكنه بدأ جديا وأضاف:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟

أحست هارييت انها تفقد توازنها واعترفت بصدق:

- لا اعرف، لابد ان الصدمة احدثت رد الفعل هذا.

فاستوضحها باهتمام:

- هل تناولت شيئاً من الطعام اليوم؟

- بعض الخبز المحمص.

- أهذا كل شئ؟

- كان نهاراً محموماً اليس كذلك؟

انتصب مجيباً:

- اجل، فى اكثر من مجال على ماأعتقد.

ثم فتح لها الباب وأردف:

- بعد استشارة الدكتور سندهب لتناول الغداء، اليس كذلك؟

نظرت اليه وسألته مرتبكة:

- لماذا ... لماذا تهتم اذا كنت قد تناولت وجبة الغداء؟

انقبض فمه وقال:

- سؤال جيد.

لكنه لم يعط له جواباً.

كانت الممرضة تنتظرهما، واقبلت تقول وهى تبتسم لهاربيت:

- الطبيب جاهز لمقابلتكما، هل استرحت؟

اجابت هاربيت:

- شكراً، لقد تحسنت كثيراً، وانا آسفة على ما حصل..

فأكدت لها الفتاة قائلة:

- هذا ليس مهماً. اتبعينى من فضلك.

جلس اندريه فى حجرة الانتظار واضطرت هاربيت لمرافقة الممرضة عبر الباب المؤدى الى الرواق. مكتب الطبيب كان ثانى باب فى الممر. تركتها الممرضة لتذهب وتحادث اندريه على الأرجح.

كان الدكتور شيرون أصغر سناً مما تصورت. متوسط القامة وله سالفان، وشعر يميل الى اللون البنى. لم يكن رجلاً جذاباً لكن البالطو الأبيض اضفى عليه نوعاً من الجاذبية والسلطة. ابتسم محيياً باللغة الانجليزية.

- آه، آنسة انغرام، تفضل بالجلوس.

اخذت هاربيت الكرسى المواجه لمكتبه، كانت متأثرة بمضاعفات الغثيان والقلق على حالة سوزان. أتم الدكتور شيرون كتابة شئ ما

وأطبق الملف ثم جلس قبالتها وقال:

- والآن، هل انت خالة الصغيرة؟

- اجل، كيف حالها؟ هل ستكون ما يرام؟ لقد فقدت كمية كبيرة من الدم.

ابتسم الطبيب مطمئناً:

- لا داع للقلق يا آنسة، الفتاة نزفت بغزارة لكن هذا قد عولج، والآن بقيت امكانية الالتهاب.

شدت قبضتها على ذراعى الكرسى، وقالت:

- هل الالتهاب محتمل؟

عبس وهو ينظر الى يديه الناعمتين باظافرهما المقلمة والمختلفتين عن يدى اندريه القاسيتين. حاولت ان تركز على كلام الطبيب:

- يجب ابقاء ابنة أختك هنا، على الأقل لهذه الليلة، فساقها تحتاج الى راحة كما تعلمين، ولدينا كل التسهيلات المطلوبة لعلاج الحالات الطارئة.

اومأت هاربيت قائلة:

- افهم.

نظر اليها بلطف وتابع:

- لا أتوقع أى طارئ يا آنسة انغرام. ان ابنة اختك شابة وبصحة جيدة. كان الجرح نظيفاً لكن الأداة تقلقنى. من الممكن ان تكون أدوات

الحديقة خطرة.

اومأت هارييت قائلة:

- هل يمكننى مشاهدتها؟

- بالطبع، لكن ربما بامكانك اولاً ان تعطينى بعض المعلومات عنها... اسمها، تاريخ ولادتها، عنوان سكنها، الى آخره. سيستغرق هذا دقيقة، ثم تستطيعين لقاءها لوقت قصير. اسمها سوزان، أليس كذلك؟ لقد اعطيناها مسكناً واقترح ان تبقى معها لدقائق معدودة.

كانت سوزان نائمة عندما دخلت هارييت لمشاهدتها، لكنها قبضت على يدى خالتها وصرخت:

- لا تتركينى هنا.

فشدت على اصابعها مطمئنة وقالت:

- على ان افعل ذلك. ستبقين هنا الليلة ونأخذك غداً الى البيت.

- ولكننى لا اتكلم الفرنسية.

فعزتها سوزان قائلة:

- لا تقلقى ياحبيبتى، انهم يتكلمون الانجليزية وسيهتمون بك.

- اين السيد لاروش؟

تقلصت هارييت واجابت:

- لماذا تسألين؟

- اود مشاهدته لأشكره لأنه جاء بى الى هنا.

- سوف تفعلين غداً. والآن عليك ان تستريحى لتستعيدى قواك وتذهبى الى البيت.

دمعت عينا سوزان وقالت:

- هل يمكنك ان تعودى لاحقاً؟

ترددت هارييت واجابت:

- ربما استطيع. سأستوضح الأمر وانا خارجة. واذا استطعت، اعدك بأن افعل.

شهقت سوزان قائلة:

- لقد خيطوا ساقى... وقالت الممرضة ان الجرح احتاج الى عشرين غرزة.

هزت هارييت رأسها:

- عشرون غرزة؟ هذا كثير.

- اعلم ذلك.

أيقنت انه اصبح لديها قصة ترويها لصديقاتها فى المدرسة عندما تعود لانجلترا، ثم تهدل فمها وعلقت بحزن:

- لن استطيع لعب التنس هذه السنة.

فشجعتها هارييت بقولها:

www.rewity.com

- ستفعلين فى العام المقبل.

عندئذ دخلت احدى الممرضات فقالت خالتها:

- يجب ان اذهب الآن.

قالت الممرضة بلطف:

- من فضلك يا آنسة.

فانحنت هارييت وقبلت خد سوزان هامسة بحنان:

- سأراك فيما بعد.

وابتسمت وهى تغادر الغرفة.

لكنها فى الخارج فقدت الثقة ومشت باتجاه بهو الاستقبال وهى تحس نفسها غريبة على أرض غريبة. من المفروض ان تكتب الى والدتها لتخبرها بما حدث، مع انها لاتتشوق للقيام بهذا العمل. كانت السيدة انغرام صعبة الاقناع بأصغر الاشياء، وجرح احتاج الى عشرين غرزة لم يكن امراً تافهاً.

وجدت الممرضة خلف مكتبها حين ظهرت فى الباب انما لم تجد اثراً لاندريه. امتعضت، وانهارت معنوياتها، لكنها وضعت احاسيسها جانباً واقتربت من المكتب وهى تسأل:

- هل من الممكن ان اعود لاحقاً؟ ان ابنه اختى تحس بالانقباض وليتنى ازورها ثانية، فى الساعة السادسة... مثلاً؟

فكرت الأنسة دوبوا قليلاً ثم قالت:

- لااحد يمانع فى ذلك انما هل لك ان تتصلى بنا قبل مجيئك؟

شكرتها هارييت وذهبت على كل حال قررت ان تعود فيما بعد وليس لديها شئ آخر تفعله، لاحظت انها لم تحضر حقيبتها وكونها لاتحمل نقودا لا تستطيع تأمين انتقالها. ترددت عند الباب وهى تميل لتسأل الممرضة ان تقرضها بعض المال. وفجأة فتح الباب وظهر اندريه. ارتاحت لرؤيته ونظرت اليه فاقدة الصوت، ولاحظت انقباض فمه قبل ان يسأل:

- هل هناك مشكلة؟ هل انت جاهزة للذهاب؟

- ماذا؟

لملمت نفسها بصعوبة، وتابعت:

- اجل، اجل.

سألها:

- هل سوزان على مايرام؟

فأومأت واجابت:

- كما قلت سيقوهنها هنا هذه الليلة.

- حسناً. والآن، هل نجد مكاناً لتناول الطعام؟

مرت هارييت من تحت ذراعه وهو يفتح لها الباب، ومشت مرتخية وهى تنزل السلم الحديدى. تبعها اندريه ثم تجاوزها ليفتح لها باب السيارة، فتوقفت وهى تحس بتوتره وقالت:

- اعتقدت انك ذهبت.

- أذهب؟ والى أين اذهب؟

بدا وجهه خالياً من اى تعبير فقالت:

- الى البيت. لتعود الى القصر.

دفعها اندريه بخشونة الى داخل السيارة ثم أغلق الباب ولف من حول السيارة ليجلس قربها. لم يتكلم وهو يضع المفتاح ويدير المحرك. وضعت هارييت يديها بين اركبتيها وتمنت لو لم تحاول ان تفسر الموقف. غادرا الزقاق ودارا حول ساحة السوق وسلكا الجسر الى خارج المدينة. خاب أملها واندهشت لأنها كانت تنتظر ان يتناولا الطعام فى احد المقاهى تحت الشمس. ربما اندريه سحب دعوته لأنها تصرفت بغباء! احست بالبرد يهاجم معدتها.

كانت تحاول أن تستجمع شجاعتها لستأله الى اين سيذهبان حين انحرف عن الطريق الى درب ضيق تظلله الاشجار. أنه يقود الى طريق مسدود. انتهى الطريق فجأة الى بوابة حديدية، حيث المراعى تنحدر الى النهر والضفاف ملأى بالازهار. كان المكان رائعاً، وصوت جرس الساعة يقرع عن بعد مما زاد من رونقه. نظر اندريه اليها ولاحظ نظراتها المستغربة فقال:

- ظننت انك تفضلين هذا المكان على أى مقهى تحت انظار عشرات الناس. انت غريبة هنا والناس فضوليون.

- هل سنتناول طعامنا فى الهواء الطلق؟

مد اندريه يده الى مؤخرة السيارة واخرج رغيفاً فرنسياً طويلاً، وبعض الجبنة، وقال بهدوء:

- احضرت هذه الاشياء وانت تتكلمين مع الطبيب.

- لم اعرف ، لم اتصور.

تلعثمت لكنه هز كتفيه بطريقته المعهودة وفتح باب السيارة. بعد تردد قصير لحقت به وأسرعت لتفتح البوابة.

أغصان شجرة الكستناء المتفرقة كانت تؤمن واحة ظل. وبعد استئذان هارييت فرش اندريه البطانية التى حمل بها سوزان على الحشيش. ثم اشتمت اشهى رائحة خبز عندما قطعه. جلست على طرف البساط، وهى تتمتع بالمنظر الذى يبدو مألوفاً ولكنه غير مألوف. محاسن هذا المكان تشبه المناظر التى تعرفها فى انجلترا كانت الألوان نفسها انما تختلف بعض الشئ، فالخضرة هنا أغمق وأقوى، وخط التلال الحمراء أقسى... الشفق يخيم بكسل فوق المراعى ويبعث رائحة عشب وثوم برى... وسرب من الأوز البرى أزعجه شئ غريب فاندفع الى السماء واجنحته القائمة ترفرف فى عرض الأفق.

اسندت هارييت ذقنها على ركبتها وتساءلت اى خطر زجت نفسها فيه.

٨ ـ دعنى وشأنى

اتكأ اندريه على جذع الشجرة وفتح زجاجة عصير الفاكهة قائلاً:

ـ اعذرينى، ليس عندى اقداح.

ثم نظف عنق الزجاجة براحة يده وقال:

ـ هل تمانعين؟

هزت هارييت رأسها وهى لاتجرؤ على الكلام كيلا تفسد جمال اللحظة. قدم لها الزجاجة لتشرب اولاً وكانت لاتزال باردة ومنعشة. بقى مذاق العصير على لسانها لفترة بعدما اعادتها اليه. ثم قالت:

ـ طعم الخبز كان لذيذاً كرائحته ونكهة الجبنة قوية ومرضية.

ادركت ان الساعة جاوزت الثالثة، فسألته:

ـ الا تتساءل جدتك اين انت؟

فانزل الزجاجة من شفتيه واجاب محدقاً اليها باهتمام مركز:

ـ لويز؟ ربما، لاشك انها تعتقد بأنى عدت الى عملى.

ـ هل انت تعمل؟ ماذا تفعل؟

اسند رأسه على جذع الشجرة واجاب:

ـ انا مزارع وماذا يفعل المزارعون؟

اتسعت حدقتاها وقالت مترددة:

ـ لكنك الكونت دو روشفور.

تقلصت شفتاه وصحح لها بشدة:

ـ انا اندريه لاروش وما نفع الألقاب لى؟

نظرت هارييت الى اصابع قدميها. عرفت انه ليس الوحيد فى هذا الوضع. كانت المقاييس تتبدل فى جميع انحاء اوروبا، وفى انجلترا مثلاً معظم الأملاك بيعت او قدمت هبة للدولة ولم يسمح بتوريث الثراء. لكن الأمر يبدو مختلفاً بالنسبة الى اندريه سألها:

ـ ما الأمر؟ انها طريقة شريفة لكسب العيش أليس كذلك؟

وافقت بسرعة قائلة:

ـ اجل.

ـ لكن ماذا يظهر عليك الانزعاج؟

هزت هارييت كتفيها وبدت عاجزة عن التفكير. كيف تفسر له ان هذه الصورة الجديدة لاتطابق الصورة التى عرفتها عنه سابقاً؟ رجل يتحاشى ذكرى مهنته لأنه غير محترف. ولاحظت ان يديه الناعمتين منذ ثمانى سنوات قد خشنتا الآن... قالت:

ـ آسفة لأنك لاتستطيع صيانة القصر كما كنت تفعل.

www.rewity.com

- ربما تظنين ان فلاحاً صغيراً لايصلح لأن يشاركك غذاءه.

نظرت اليه متألمة وهزت رأسها قائلة:

- هذا ليس صحيحاً. فى الحقيقة لايتناسب ذلك مع الذى عرفته عنك.

اجابها بحدة:

- ماذا تعتقدين انك تعرفين عنى؟

واخذ يشتم بغضب واكمل:

- تناسى الموضوع. انها أمسية حارة لاتصلح للنقاش.

اطبق عينيه كى لايراها، فوجدت نفسها تقبض على معصميها بقوة. كانت ساقاه ممدودتين امامه بكسل. لكن خطوط عضلاته تبرز تحت قماش بنطلونه الخشن. تساءلت هارييت عن شكل زوجته، وان كان اندريه قد احبها كثيراً. لقد رزقا بولد واحد، وهذا يعنى ربما حملاً صعباً. او من المحتمل ان زوجته لم ترغب فى انجاب اطفال آخرين.

اخذت تجمع بقايا الغداء فى كيس من الورق. فرأته يمسك بزجاجة العصير التى لم تفرغ بعد وسألها:

- خبرينى ياهارييت، لماذا عزفت عن الزواج الى الآن؟

انقبضت واجابت بسرعة:

- لأنه لم يطلبنى احد.

- لا اصدق هذا. ماذا جرى للشبان المتلهفين الذين كنت تعرفينهم فى بلدك؟

- لقد انتقلت الى لندن حيث اسكن الآن.

- الا يوجد رجال فى لندن؟

ورمقها بنظرة قائمة واضاف:

- لا اصدق ان ليس لديك معجبون؟

- اتقصد بعدك انت؟

لفظت العبارة وهى تكاد تختنق، واردفت بحنق:

- اتظن انه كانت لى علاقات كالعلاقة التى كانت بيننا؟

زمجر اندريه بعنف واستدار قائلاً:

- كلا، لم اعتقد شيئاً من هذا القبيل. لكننى لست غبياً. لقد دربت نفسى على الا اكون الرجل الوحيد الذى له تأثير عليك.

- اذن تعتقد انى اقمت علاقات... ربما، لكنك لن تعرف الحقيقة ابداً، اليس كذلك؟

قالت هذه العبارة بمرارة فصرخ فيها:

- هارييت!

الطريقة التى لفظ بها اسمها اثارت مشاعرها، وعندما ناداها ثانية بعاطفة، لم تنصع لندائه بل ابقت عينيها مفتوحتين وهى تحدق فى زرقة السماء. احس بنفورها مع انها لم تستطع منع التفاعلات التى اثارها فيها ثم اتبعد عنها يستلقى على ظهره بجانبها ويداه مشدودتان فوق رأسه كما لو انه يمنعه من الانفجار، تنفس بتقطع وقال بخشونة:

www.rewity.com

- واخيراً، انتهى كل شئ.

نهض بوحشية وسحب سترته بيدين مرتجفتين واضاف:

- تعالى، سندهب الآن.

استغرقا بعض الوقت للوصول الى البيت، وعندها سألها اندريه الذى بقى صامتاً طول الطريق، ان كانت ستعود الى بلسوريو فى الصباح. فأجابته:

- لقد وعدت سوزان ان اعودها هذا المساء فهى لم تكن مسرورة عندما تركتها هناك. قلت لها اننى سأحاول رؤيتها ثانية اليوم.

- فهمت. هل تظنين انه من الصواب ان تفعلى ذلك؟

- ولم لا؟

كانت ستناقشه لكنه فتح يديه ليعبر عن موافقته وقال:

- كما تشائين.

ولم يزد شيئاً . همت بالنزول من السيارة وقالت:

- اشكرك ثانية.

لكنه اكتفى بهز رأسه وغادر المكان فوراً، تجولت هاريت فى الغرف الخالية، وهى تضغط على نفسها كى لاتشقق على ذاتها. فأحضرت دلواً من الماء وقطعاً من القماش لتغسل الدم الذى لطخ المقعد. وبينما كانت تعمل بيديها، كان عقلها ليهيم كيفما شاء، ومن المحتم ان تفكر باندريه وبما قاله عن زوجته.

تساءلت عن نوع المرض الذى طال امده لسنين عديدة. هنالك عدة احتمالات، وايقنت كم هذه الامراض مدمرة للزواج، لكن هذا العذر لا يبرر تصرف اندريه، كون زوجته مريضة ليس عذراً قوياً ليبحث عن المتعة فى مكان آخر، او ربما تغاضت زوجته عن تصرفه، اما لايعقل هذا.

استراحت على كعبيها، ولو استطاع احد ان يقرأ افكارها لحسبها تحاول ان تجد له مبرراً او تجد مبرراً لنفسها. او ماذا؟ ماذا فعلت لتشعر بكل هذا الانزعاج؟ ارغمت نفسها على تناول عجة بيض قبل ان تعود الى المستشفى. هذه المرة استعملت سيارتها واخذت معها حقيبتها، وارتدت فستاناً حريرياً بلون المشمش ذا ثنايا تبرز رشاقة ساقيها.. ارادت افهام الآنسة دوبوا انها ليست تلك الفتاة المشوشة التى قابلتها صباحاً.. حين وصلت كانت نوبة عمل الأنسة دوبوا قد انتهت، ووجدت سيدة مسنة تجلس الى مكتب الاستقبال. طلبت منها السماح بمقابلة سوزان فنظرت اليها بريبة ثم سألتها بالفرنسية ان كان الدكتور شيرون قد سمح لها بزيارة المريضة. وعندما اعترفت هارييت بانها لم تستأذن الطبيب هزت السيدة رأسها معتذرة.

- آسفة، الدكتور استدعى خارج المستشفى ولا استطيع السماح لك بالزيارة.

فتنهدت قائلة:

- لكن ابنه اختى جرحت ساقها، وستبقى هنا الليلة فقط.

- آسفة.

اجابتها المسئولة مجدداً.

عندها فتح باب خلفى ونسمة من الهواء البارد اعلنت قدوم شخص ما، فاستدارت هاربيت واحست بالارتياح عندما رأت الدكتور شيرون. لم يرتد الدكتور معطفه الأبيض لكنه احتفظ بوقاره. تردد قليلاً ثم تقدم نحو هاربيت محيياً.

- آنسة انغرام، انا سعيد بلقائك ثانية. هل اتيت لزيارة سوزان؟

تصورت ان الطبيب لم يعرفها بعدما رآها وهى متعبة فى الصباح. لكنه خبأ دهشته ببراعة. قالت وهى تصافحه:

- اتساءل ان كنت تسمح لى؟

- لا مانع لدى يا آنسة، انما اخشى ان تجديها نائمة. كانت مستيقظة عندما جاء صديقك، لكن الآن...

- صديقى؟

نظرت اليه هاربيت بدهشة فاومأ الطبيب قائلاً:

- اجل لاروش. الكونت دو روشفور. انه صديق لك أليس كذلك؟

تقلصت اصابع هاربيت على حقيبتها وسألت:

- هل عاد؟

- اجل وكانت سوزان تتناول طعام العشاء. بدت مسرورة جداً حين رأته. لكن بما انك ولية امرها، فيجب ان تصارحينى اذا كنت اخطأت بالسماح له بزيارتها؟

- اوه كلا... كلا.

هزت رأسها بعنف، بيد انها احست بقلق لما سمعته. لماذا؟ لماذا لا يستطيع اندريه ان يزور سوزان ان اراد؟ من الواضح ان سوزان لاتمانع فلماذا تمانع هى؟

احس الرجل بانزعاجها فقال لها:

- تعالى، سنذهب ونرى ان كانت مستيقظة.

لكن سوزان كانت نائمة تتنفس بعمق. لونها طبيعى وكأن على شفتيها ابتسامة.

تساءلت عما كان يفعله اندريه هذه الليلة، وهل اخبر جدته وابنه عن الحادث الذى اصاب سوزان؟

لقد علمت الكثير عنه اليوم، لكن هناك اشياء كثيرة لم تعرفها بعد، وسوف لاتعرفها ابداً..

لقد حل الظلام وكان الطريق يتلوى امامها. تساءلت ان كانت حقاً تعرف الطريق الى البيت، وتنفست الصعداء عندما رأت اللافتات على يمينها وتأكدت من مفترق بيتها. سمحت لسيارتها ان تنحدر قبل ان توقفها امام البيت واذا بها ترى سيارة اخرى امامها. كانت سيارة اندريه السيتروين. كاد قلبها يتوقف عندما اطفأت محرك سيارتها وترجلت، نظرت بقلق نحو البيت، لكنها لم تر اضواء اضطربت حين انفتح باب السيتروين وخرج اندريه. لم تر سوى جانب وجهه فى ضوء السيارة الداخلى عندما فتحت الباب. سألته وهى تحس بالذنب اذ تذكرت كيف قضت امسيتها:

www.rewity.com

- ماذا تفعل هنا؟

لم يجبها بل توجه نحو البوابة قائلاً:

- هل ندخل؟

ارادت ان تجادله لكن حدسها حذرها من ان تتحداه، فدخلت البوابة ومشت عبر الممر. وحالما فتح الباب سبقها اندريه واضاء المصباح بينما كانت تسدل الستائر الصفراء. ثم استدارت لتواجهه وهى واعية بمظهرها وماسيفسره به. الليلة يرتدى بنطلوناً اسود وقميصاً حريرياً، واللون القاتم الذى يرتديه يظهر مزاجة المعكر. وقف قرب الموقد وقال بهدوء:

- هل ذهبت الى المستشفى؟

- اجل كما فعلت انت.

احنى رأسه واستوضحها:

- هل قالت لك سوزان ذلك؟

- كلا. الدكتور شيرون اخبرنى.

- وماذا قال لك؟

بللت هاربيت شفتيها:

- قال انها تتحسن انما كانت نائمة.

- احقاً؟

لاحظت انه يتكلم بالفرنسية كلما احس بتوتر ما، وتابع يقول:

- هل انتظرتها حتى استيقظت من النوم؟

- كلا...

تضايقت وغضبت لذلك. فماذا يعنيه كيف تقضى وقتها؟ قالت:

- لم تقل لى لماذا انت هنا.

وضع يديه خلف ظهره فانفتح قميصه واجاب:

- جئت حسب توصيات لويز، لا دعوك الى العشاء.

فأحست هاربيت بموجة خجل تغمرها وتابع هو بصوت اجوف:

- بالتأكيد ان الدعوة متأخرة الا انى احسست بالقلق عندما لم تعودى من المستشفى فقررت ان انتظرك هنا.

- فهمت.

وضعت حقيبتها على الطاولة دون ان تنظر اليه واردفت:

- اننى آسفة.

- لا فرق. المهم انك الآن هنا.

قالت بارتباك:

- ارجوك ان تشكر جدتك على الدعوة. ربما استطعت تلبيتها فى وقت آخر.

فنظر اليها قائلا:

- اخبرنى بول انك ترفضين المجئ الى منزلى.

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

هتفت تدافع عن نفسها:

- كان الأمر يختلف. كان هذا قبل.. قبل..

- قبل ان تعرفى ان زوجتى قد ماتت؟

حركت هارييت كتفيها قائلة:

- ربما.

قال بقسوة:

- لم اعتقد ان الأمر يهمك.

فشهقت قائلة:

- حسناً، كنت مخطئاً.

- حقاً؟

اتسع انفه غيظاً، ولاحظت انه يضبط اعصابه بقوة ارادته. قال:

- مع العلم انك بعد الظهر رفضتنى بكل كيانك.

قالت:

- من الافضل أن تذهب الآن فأنا متعبة.

ارخى يديه وحاولت هارييت لأخر مرة ان تتصرف بشكل طبيعى. قالت:

- شكراً. اشكرك ثانية على كل ما فعلته اليوم.

اظهر حركة عدم مبالاة واجاب بصوت فظ:

- كنت سأفعل هذا لأى كان. بالمناسبة، هناك شئ آخر، يجب ان تطلبى من الطبيب الكريم ان يقدمك الى زوجته فى وقت ما.

همست لاهثة:

- انه... متزوج؟...

- منذ عدة سنين، انت قليلة الحظ باختيارك لمرافقيك!

ارتجفت شفتاها وقالت بغضب:

- ايها... ايها الوغد! لقد تمتعت بابلاغى هذا، أليس كذلك؟ كم يسعدك ان ترانى اتلوى من الخجل.

تضايق اندريه ورد بجفاف:

- لا تكونى بلهاء. هل تفضلين ان اخفى الحقيقة عنك؟ ماذا كنت ستفعلين لو ان السيدة شيرون جاءت تطرق بابك، كما فعلت فى الماضى نساء اخريات، واتهمتك بالفاظ مهذبة، قالت هارييت بطريقة آلية وهى تشيح نظرها عن وجهه الساخر:

- نساء على حال انت الذى تقول انها تفعل ذلك.

- ومن المؤكد ان كلامى ليس كافياً اليس كذلك؟ اذن... ستكونين فى امان هنا بمفردك.

- لاتزعم ان الأمر يهمك.

اجابها ببرود جعل انفاسها تتسارع:

- تعلمين انه يهمنى، كل ما تفعلينه يهمنى، لكن هذا شئ تعلمت

www.rewity.com

ان اعيش معه.

شعرت كأنها تختنق قالت:

- ارجوك، لاتقل لى اشياء كهذه. كلانا يعلم انها ليست صحيحة، وانا غير مستعدة لان اعيد الكرة.

قام اندريه بحركة انهزامية وقال:

- انت قاسية جداً ياهارييت. لكن ربما انت على حق وقد فات الأوان.

تنهد ثم تابع:

- لم اصدق، ولكن...

وهز رأسه.

ادارت نحوه عينين موجوعتين وسألته بلوعة:

- ماذا تريد منى يا اندريه؟ ما تريدنى ان اقول؟ اننى سامحتك؟ اننى نسيت انك عاملتنى كفارس مغوار؟

رد عليها بخشونة:

- فارس؟ ماهذا؟ انا لست بفارس.

- كلا انت لست هكذا.

- اذن لماذا تقولين هذا؟

- اوه...

طردت الكلمة بحركة من يدها. وتابعت:

- هذا يعنى... اهمال، عدم تفكير. اظنك تعلم ماذا يعنى.

- اظنك تبالغين. حسناً. ان قبولى بمجيئك الى باريس قد لعننى فى نظرك، لكن يجب ان اذكرك بانك اردت المجئ، بل يمكننى القول انك توصلت الى ان اوافقك على مجيئك.

- اوه، هذا اجمل ماسمعته منك... انك تضع اللوم على وحدى اليس كذلك؟

- اللوم؟

نظر الى السماء كأنه يطلب منها وحياً وتقدم متجاهلاً احتجاجاتها وامسكها بقوة من كتفيها:

- بالله عليك، لماذا كان على ان اشعر بأى لوم؟

فصرخت يائسة:

- اذن لماذا فعلت ذلك؟

فهز رأسه بتعب وقال:

- تقصدين لماذا قبلت بقدومك الى باريس؟

فهتفت باختناق:

- لماذا جعلتنى اقع فى حبك؟

اسودت عيناه وقال:

- كان احساساً متبادلاً ولم تكن لى اية سلطة عليه.

www.rewity.com مـر مـوريـة

- ليتك لم تتكلم معنا فى قاعة المزاد!

- وأنت ليتك احترمت نصيحة تشارلز، أليس كذلك؟

هز رأسه ثانية وتابع يقول بندم:

- انا حـاولت ياهارييت. توفـقت من لقـائك لكنك اردت ان تقابليني. والله يسامحني، لم استطع ان ارفض طلبك.

فابتعدت عنه قائلة:

- ماذا... ماذا تعتقد انه جرى لى بعد... بعد ان كتبت لى الرسالة؟

تنهد قائلاً:

- حاولت ان لا افكر

اختنق صوته، فنظرت اليه باهتمام قائلة:

- ألم يخطر لك ابداً احتمال ان اكون قد دفعت ثمناً غالياً لتلك الليلة؟

ثم سمعت صوتاً مفاجئاً يهتف بحسرة:

- يا آلهى!

احست هذه الصرخة تسقط رأسها كماء مثلج، ولكن بالنسبة الى اندريه كان الأمر اسوأ. اذ كان بول يقف مشدوهاً فى الباب، وهو ينظر اليهما كأنه لم يشاهد احدهما من قبل. وسمعاه يخرج متعثراً فى الظلام. صرخ اندريه بيأس ووجهه شاحب من شدة الانفعال:

- هارييت. هارييت، يجب ان الحق به.

- اجل.

كان صوتها خالياً من التعبير، وركزت بصرها على الأرض فنظر اليها قائلاً:

- هارييت، لا تدعى هذا الأمر يقف بيننا.

- وما العلاقة التى تربطنا؟

- هذا ليس صحيحاً.

والتفت ليحدق فى سواد الليل، ثم نظر قائلاً:

- هارييت، ارجوك دعينى اعود اليك..

- كلا.

- ماذا تقصدين بكلا؟

- اقصـد كـلا، يعنى النفى. آه... اذهب يا اندريه. اذهب واعـثر على ابنك. الاترى اننى ارغب فقط فى ان اترك وشأنى؟

لا شئ يغير ما حصل من قبل. كان الماضى يقف حائلاً بينهما. وبما انها لم تستطع ان تثق به من قبل فكيف يمكنها ان تثق به الآن؟

WWW.REWITY.COM مـرمـور

٩. هروب بلا عودة

قالت سوزان محتجة.

ـ لماذا علينا ان نعود الى انجلترا؟ اعلم ان ساقى بحاجة الى وقت لتشفى انما لماذا لا يكون هذا فى روشلاك؟

كانت هاريت تدور حول منعطف احست برجة فجائية فى مبدل السرعة، ثم اجابتها:

ـ سوزان، قال الدكتور شيرون ان الاستحمام المنتظم ضرورى، واخشى ان اقول له اننا نستعمل الغدير الاثرى البدائى الذى وجدته فى الكوخ للاستحمام.

ـ لكن الحمام نظيف ويمكننى استعماله.

ـ كل يوم؟ ومن الذى سيحمل الماء اليه؟ كونى واقعية ياسوزان، هذا ليس معقولاً.

اعترضت سوزان قائلة:

ـ لكنك لم تذكرى شيئاً عن ذلك يوم امس.

تنهدت هاريت واجابت:

ـ بالأمس كلانا لم يدرك اهمية الموضوع. الآن صرت قادرة على التفكير. انا آسفة مثلك، انما لا اجد حلاً آخر.

فعبست سوزان قائلة:

ـ ليتنا نبقى هنا. ألا تغيرين رأيك ياهاريت؟

ـ كلا.

كانت هاريت حازمة بجوابها فاهتز كتفا سوزان واولتها ظهرها.

توقعت هاريت قدوم اندريه طيلة النهار، لكنه لم يأت مع حلول الظلام. ذهبت لتنام وكان يساورها احساس بالخيبة. ضربت وسادتها وقالت لنفسها: يا آلهى، ماذا اريد بعد كل هذا؟ انا التى طلبت منه ان ينصرف اكثر من مرة، ولم اتذمر لأنه فعل. لكنها تود ان تراه للمرة الأخيرة، فكرت بيأس، لكى تقول له انها راحلة وتودعه، وبذلك تنتهى العلاقة بوضوح.

سافرتا بعد ظهر اليوم الثانى واتجهتا شمالاً الى الهافر وامضيتا الليلة فى استراحة على الطريق. وصلتا الى الهافر فى ساعة متأخرة من مساء اليوم التالى، ولحسن حظهما تمكننا من تغيير الحجز. استغلتا حالة سوزان لتصعدا على متن المركب المزدحم. كما ان جاذبية هاريت ساعدت فى اقناع موظفى الميناء. قضتا ليلتهما فى فندق صغير وابحرتا فى الصباح لتصلا ساوث هامبتون قبل الظهر. مغادرة السفينة اخذت وقتاً اطول، ووصلتا لندن عند الغروب. احست هاريت بالارتياح بعد رحلة طويلة ومرهقة، وتاقت الى استعادة حياتها الطبيعية السابقة.

كانت شقتها فى منطقة نايتس بردج الأنيقة، وكان الفضل لتشارلز ان حصلت عليها بايجار معقول. على أى حال لم تحب ان تسكن اى منطقة اخرى من لندن، ويناسبها ان تكون على مرمى حجر من هارودز.

وجود سوزان فى الشقة لأول مرة اثارها وقالت وهى تنظر الى تحت من الطابق الرابع:

- ما اجمل هذه الساحة!

اعترفت هاربيت انها تحب اناقة البناية الهادئة التى تسكنها وهى تقيم هنا منذ ثمانى سنوات. تذكرت اهلها فنظرت الى سوزان قائلة:

- يجب علينا الاتصال بجدتك.

اجابت سوزان:

- هل يجب ان نفعل؟ الا نستطيع تأجيل ذلك الى ان تشفى ساقى؟ ان جدتى سريعة الانفعال وتقلق لأبسط الاشياء.

- حبيبتى. على ان خبر تشارلز بقدومنا، ولا استطيع ان أخبر تشارلز بدون ان اخبر امى.

جلست سوزان على الاريكة فى قاعة الجلوس واراحت ساقها على وسادة واجابت:

- حسناً، لكن لاتطلبى من الجدة ان تأتى الى هنا فأنا لا اتحمل اهتمامها المفرط بالأمور.

اتصلت هاربيت بتشارلز اولاً فصاح فرحاً:

- هاربيت!

بدا مندهشاً جداً لعودتها.

- حسناً، بعد غد يكون الأحد، ما رأيك لو تشاركاننى الغداء؟

- يبدو عرضك شيقاً باتشارلز.

طال حديث السيدة انغرام بالنسبة الى حالة سوزان. وكانت هاربيت قد ذكرت ما حدث للفتاة ثلاث مرات. فانفعلت الجدة وسألت:

- لا اتصور انك سمحت لفتاة بعمر سوزان ان تستعمل المنجل. يجب ان تحضريها فوراً الى هنا. من الواضح انك لست مؤهلة لتحمل مسئولية فتاة بعمرها. كنت اتردد بالسماح لها بالذهاب معك خصوصاً بعد...

لم تكمل الجملة وتابعت:

- على اى حال، لك حياتك فى لندن ووجود سوزان سيعيقك عنها.

- قلت يا امى انها تستطيع البقاء هنا...

كانت سوزان تبدو غير مرتاحة وغير مدركة تماماً لما يجرى على الهاتف وراحت تتوسل الى خالتها بعينيها بأن لا تتأثر بكلام الجدة. ابتسمت هاربيت محاولة التركيز على كلام امها...

- ماذا ستفعل سوزان طول النهار اثناء غيابك بالمتجر؟ هل يمكنها المشى ام اصبحت كسيحة؟ لاتستطيع البقاء لوحدها فى الشقة طيلة النهار!.

تنهدت هاربيت قائلة:

- سوزان تستطيع التحرك يا امى. انها ليست كسيحة ولن تكون

وحيدة طول النهار فأنا لن اباشر عملى قبل شهر من الآن. واذا ذهبت الى المتجر سيكون ذلك لوقت قصير.

- على اى حال لايعجبنى هذا وانا متأكدة انه لن يعجب والدك ايضاً. من الأفضل ان نزوركما لنرى سوزان ونسألها رأيها.

قضتا السبت بكسل، تلذذت سوزان بمشاهدة التليفزيون اما هارييت فتصفحت الجرائد وغسلت ثيابها المتسخة وقرأت عن الاضرابات وارتفاع اسعار الاغذية انما لم يحصل شئ خارج عن المعتاد اثناء غيابهما.

كان منزل تشارلز فى الطابق الأخير فى بناء فيكتورى مستحدث. غرف واسعة وسقوف عالية ومجموعة الانتيكا والاثاث. كل هذا اعطى نوعاً من الراحة لمنزله. كان يسكن وحيداً باستثناء قط اسود كبير، وقد لقيت هارييت القط باسم بيرسوس لأنه يستطيع القفز بين التحف بدون ان يوقعها.

استقبلتهما السيدة ريتشى وضحكت بقلق عندما رأت سوزان تعرج وهى تصعد السلم متكئة على ذراع خالتها.

- لماذا استعملت المنجل بدل المقص الأكثر سلامة وفعالية؟

فردت هارييت بطول اناة:

- لم يكن هناك مقص.

دخل تشارلز الى الصالون ووجهه يعبر عن سعادته بلقاء هارييت. وقال:

- عزيزتى، كيف حالك وكيف المريضة؟

اجابت سوزان:

- ساقى فى تحسن مستمر.

وجلست فوراً على مقعد مغطى بسجادة مطرزة وكأنها تكذب جوابها المتقائل:

الجلوس فى صالون تشارلز مريح لأن النوافذ المفتوحة تسمح للهواء بالدخول. كان الطقس ثقيلاً فى الخارج. ولاحظت تشارلز ينظر اليها وهى تتكلم مع سوزان. تساءلت لماذا يرغب فى التحدث اليها؟ هل يريد التأكد من انها عادت سالمة؟ ام ان لدعوته معنى آخر؟ انها معتادة على دعوات تشارلز، وربما اليوم تخيلت انه قلق عليها.

طعام السيدة ريتشى كان لذيذا. حساء رورستو ثم مهلبية تشتهر بها منطقة يوركشاير.

وقال تشارلز:

- طلبت من السيدة ريتشى ان تحضر هذه الاطباق لظنى بانك ستستمتعين بغداء انجليزى.

سألته هارييت:

- هل دعوتنا فقط لتناول الغداء؟

لم يجب تشارلز لكنه نظر اليها على غير عادته مضطرباً. لم تنتبه سوزان لما جرى لأنها كانت تلعب مع القط على السجادة. اقترح تشارلز ان يكلمها على انفراد فدخلا غرفة المكتب، وبادرته هارييت بالسؤال:

- ما الأمر؟ لماذا تتصرف بهذه الغرابة؟ ماذا جرى اثناء غيابى.

اجابها:

- لم يحدث شئ، تفضلى بالجلوس هنا قرب المكتب فأنت تثيرين اعصابى بخطواتك القلقة.

فردت بنفاد صبر وهى تجلس قبالته:

- انت الذى تثير اعصابى! ماذا يجرى؟ ما الأمر؟ لماذا اردت الكلام معى؟

تنهد تشارلز وقال:

- هل تمتعت بعطلة سعيدة؟ كيف كان رب البيت؟

- تشارلز!

- ابنتى العزيزة، لم آت بك الى هناك للاستجواب. استطيع ان ادعو مساعدتى الى الغداء بدون...

قاطعته هاريت بخشونة:

- البيت على مايرام. لكن المالك لم يعرف انه بيع، وبالطبع كان يحتاج لبعض الاصلاحات.

هز تشارلز رأسه بأسف وسأل:

- هل كانت حاله سيئة؟

- لقد تدبرنا الأمر.

- وهل ستعودين؟

كان يريد ان يعرف وفهمت انه يخبئ شيئاً، فردت بصوت اجوف:

- لن اعود وسأبيع البيت الى اندريه ان اراد ذلك.

نظرت الى تشارلز بتمعن واحست ان شكوكها فى محلها، فتشارلز يدرى ان اندريه يعيش فى روشلاك وسواء علم او لم يعلم انه يملك البيت، فلم يصدم عندما سمعها تلفظ اسم اندريه. واجه نظرتها المتهمة وقال:

- حسناً، كنت اعرف ان لاروش يسكن المنطقة. لكننى لم اعرف انه يملك البيت، صدقينى. اظن انك التقيت به ثانية. ماذا حدث؟

تنفست هاريت بغضب واجابته:

- انك تجلس هنا وتجرؤ على القول ان اندريه يسكن قرب روشلاك، وتنتظر منى ان اخبرك بما حدث! بالأعصابك القوية!

انحنى تشارلز قائلا بأسى:

- هارييت! لاتغضبى. فعلت فقط ما كان على ان افعله.

- لو اردت باتشارلز ان تؤذينى عمداً لما وجدت طريقة افضل.

- الأنك لاتزالين تهتمين به؟ اننى اعلم، ولكن ياهارييت ..

فوقفت تقول:

- من الأفضل ان نذهب الآن قبل ان اقول شيئاً اندم عليه.

- كلا انتظرى! لاتذهبى! اسمعينى من فضلك.

توقفت هارييت وقالت:

- لا فائدة باتشارلز.

www.rewity.com مـرويـة

- ارجوك، اجلسى.

- لماذا؟ ماذا لديك من كلام؟

- هز رأسه وقال:

- عليك ان تسمعى ما اود قوله قبل ان تسارعى الى استنتاجات خاطئة.

ترددت هاربيت وقالت:

- اوه، تشارلز...

- ارجوك ياهاربيت الا تريدين ان تسمعى ما عندى؟

- ماذا عندك لتقوله؟

تنهد تشارلز قائلاً:

- اجلسى.

عادت تجلس قائلة:

- حسناً لكنك تضيع وقتك. فلن تحصل مصالحة كبيرة بينى وبين اندريه، ولا احسبك تريد لك.

فنظر اليها بعينين مفعمتين بالحنان وقال أخيراً:

- هاربيت، لا تتظاهرى معى ياعزيزتى فأنا اعرفك منذ وقت طويل . هل سيختلف الأمرلو قلت لك ان اندريه كتب لى رسالة خاصة؟

١٠- العودة أم الرحيل

ران على الغرفة صمت كثيف استطاعت هاربيت ان تسمع فيه دقات الساعة الفرنسية النحاسية التى تزين رف الموقد... ام انها خفقات قلبها تدوى فى اذنيها؟

وقالت أخيراً وهى تحدث الى تشارلز بذهول:

- ماذا قلت؟ ان اندريه كتب اليك؟ متى؟

اخذ يهز قدمه قائلاً:

- منذ ستة اشهر تقريباً. بعد عيد الميلاد. فى وقت معرض آل جانينغ...

- اوه، لا تبال بمعرض جانينغ، لماذا لم تخبرنى؟ قل لى، لماذا كتب اليك؟

فشبك يديه وقال:

- كانت زوجته قد ماتت لتوها. هل عرفت ذلك؟

اومأت هاربيت.

- اجل، لقد اخبرنى.

- كلا. ولا اريد ان اعرف... تشارلز؟ هل تريد القول انه كان يعلم اننى سوف أشترى البيت؟

www.rewity.com مـــروريـــة

- كلا، كلا! من الأفضل ان تقولى لى ثانية كيف التقيت باندريه؟

- لماذا؟

- احب ان اعرف.

- ان كان لابد ان تعرف، كان اندريه فى البيت يوم وصلنا. لقد علم ان المنزل قد بيع وبدأ بتنظيفه.

- هل صدم حين رآك؟

عبست هارييت واجابت:

- اعتقد اننى صدمت اكثر... لكن هذا شئ طبيعى، اذ لم اكن اعلم انه كان يراسلك!

- تابعى، ماذا حصل؟

- عرض ان يرد لى ثمن البيت، لم يسعه ان يفعل اكثر من ذلك لأن البيت بحالة يرثى لها.

- لكنك لم تقبلى؟

تورد وجهها واجابت:

- كلا، ليس من اجله ولكن من اجل سوزان، ولم يكن لدى الوقت لأجد بيتاً أخر.

- اذن بقيت.

- اجل، حتى اصيبت سوزان بالحادثة.

عاد يسألها:

- هل رأيت لاروش ثانية؟ لابد انك رأيته.

فهتفت غاضبة:

- لماذا تفترض ذلك؟

- لأن من المستبعد ان ينبئك بوفاة زوجته فور التقائه بك، ام تراه فعل؟

خفضت بصرها واجابت:

- كلا. التقينا عدة مرات بعد ذلك.

- فهمت.

- فى الواقع، هو الذى ساعدنى فى نقل سوزان الى المستشفى لدى اصابتها وكان لطيفاً جداً.

نظر تشارلز الى رأسها المطأطأ وسأل:

- لكنك لاتفكرين الآن بلقائه ثانية؟

- كلا.

- لماذا؟

- تشارلز، انت رب عمل لكنك لست المسئول عنى، ثم انى كنت احسب دائماً انك غير راض عنه.

تنهد تشارلز وقال:

- لم اوافق حتى رأيت ما حل بك.

- ماذا تقصد؟

www.rewity.com مـــرمـــور

انحنى الى الأمام واخذ يدها قائلاً:

- يا ابنتى، لاتغضبى، فانت تعلمين مثلما اعلم انك اصبحت صاحبة مهنة بالدرجة الأولى.

- وما العيب فى ذلك؟

- لاشئ، لكنك لاتتصرفين بشكل طبيعى، لاتخرجين بما فيه الكفاية، والعمل هو هدفك الرئيسى فى الحياة... لاتسمحين لأى رجل بأن يقترب منك!

حدقت اليه بنظرة دفاعية وقالت بارتباك:

- الذى تقصده باتشارلز، هو اننى كبرت ولم اعد تلك الطفلة الصغيرة السهلة التأثر.

فأجابها بحزم:

- لقد تقوقعت داخل صدفة، هذا كل شئ، تظنين ان بامكانك الهروب من الحياة؟ لا، انت لاتستطيعين ذلك وعليك ان تدركى هذه الحقيقة سريعاً.

- اهذا ما قاله اندريه؟

- كلا، كلا، بالطبع لا. قلت لك ما قاله اندريه. ان زوجته توفيت وسأل عن احوالك وان كنت سعيدة. ولم اجبه.

وشهقت مستغربة.

- لم تجبه؟

- كلا، ماكان عساى ان اقول؟ انك تهدرين حياتك؟ او اخفى الحقيقة واقول له انك فتاة سعيدة وراضية؟

- اننى سعيدة وراضية، على الأقل كنت كذلك!

- كنت تعيشين فى عزلة.

ونهض تشارلز فأجابت:

- لى اصدقاء...

- ليسوا مقربين ما عداى. انى اعتبر نفسى صديقك مهما حدث.

- لذلك قررت ان ترسلنى الى فرنسا..

- بعدما كتب لى لاروش، قررت ان افعل شيئاً. عرفت انك تحبين فرنسا خصوصا بعد الرحلة الى ليموج. فبدأت اتصالاتى لشراء عقار فى الردون. ثم اقنعتك بذلك، وقبلت بشغف.

هزت هارييت برأسها وكأنها لا تصدق، وقالت:

- الصدف لا تحصل دائماً.

- كانت صدفة ان يكون اندرية صاحب العقار الذى اخترته.

- ظننت هكذا.

وتنهدت هارييت عندما سألها تشارلز:

- كيف يبدو اندريه؟

فارتعدت واجابت:

- اكبر، واقسى.

- اقوى؟

- ربما هكذا.

قال تشارلز:

- مضت عليه اوقات قاسية كانت كفيلة بتغيير مظهره.

رددت هارييت:

- اجل، وزوجته قاست الكثير.

قطب تشارلز حاجبيه وتابع:

- فواتير المستشفى كانت تتطلب مالاً كثيراً، واضطر الى احضاره من مكان ما.

فى اليوم الذى التقيناه فى صالة المزاد فى سان جرمان، كان يبيع بعض الأوانى الفضية لأل روشفور. اظن انهم خسروا كل شئ وكانت لديهم اشياء ثمينة جداً... تغيرت احواله من الغنى الى الفقر المدقع.

اجابت هارييت:

- لا تحاول ان تجعلنى اشفق عليه! لم يكن فى يد زوجته حيلة.

- كلا واندريه لم يستطع عمل شئ لأن زوجته امضت آخر اثنتى عشرة سنة من حياتها فى مستشفى للأمراض العقلية.

- ماذا؟

كانت هارييت جالسة حين سمعت هذا النبأ. وسألته بوجل:

- ماذا تقول ياتشارلز؟

- اقول ان زوجة لاروش كانت مصابة بمرض عقلى. عندما تزوجها كانت تشكو من الهستيريا، وحرم عليها ان تنجب اطفالاً. لم تستعد رشدها بعد ان انجبت ولدها.

قالت هارييت منحسرة:

- من المؤكد ان اندريه لم يخبرك كل هذا!

- كلا، اخبرنى فقط بوفاة زوجته بالمستشفى بعد مرض طويل. فضولى دفعنى الى الاستقصاء. عائلة روشفور ليست مجهولة فى فرنسا.

خبأت وجهها بين يديها وقالت:

- يا آلهى.

فسرت كلمات تشارلز بأشياء كثيرة، وخصوصاً الرسالة التى تسلمتها من اندريه بعد عودتها من باريس، وفيها يعلمها بتهذيب انه لا يستطيع الزواج منها لأنه كان متزوجاً ولا يستطيع الطلاق.

لفت تشارلز ذراعه حولها وقال بحنان:

- آسف ياعزيزى، انما كان على اخبرك، فمن حقك ان تعرفى.

رفعت هارييت وجهاً حزيناً وقالت:

- ماذا استطيع ان افعل؟ لم اعرف. ظننت... ليتنى كنت اعلم...

- اجل ولكن ماكان بامكانك فعله؟

ارتجفت شفتاها وهمست:

- لا اعلم . لا اعلم.

www.rewity.com

اضاف تشارلز.

- يا للرجل المسكين! اخذ اكثر من نصيبه من التعاسة.

فقالت بزفرة حارة:

- انه يعتقد اننى اكرهه.

- وهل تكرهينه حقا؟

هزت رأسها:

- لقد حاولت. ظننت اننى اكرهه لكن حين رأيته.

- ادركت انك لاتستطيعين؟

اومأت قائلة:

- انا احبه ياتشارلز. واعتقد اننى احببته طيلة الوقت.

- هل يحبك ايضاً؟

حدقت امامها وقالت:

- لا اعرف، فى كل حال فان الاوان.

- لماذا؟

- اوه تشارلز، لايستطيع المرء ان يفتح ويقفل عواطفه وكأنها حنفية ماء. لو عرفت ربما اختلف الأمر.

- اذن هى غلطتى. كان يجب ان اخبرك.

- لاتتغابى.

نظرت اليه من خلال دموعها واكملت:

- ليس من المفروض ان تعلم. كان على اندريه ان يخبرنى بنفسه.

اتصلت والدتها مساء الاثنين للاطمئنان عن سوزان وتكلمت معها ولم تحرص سوزان على عدم تكدير جدتها. لأنها طفلة ويسمح لها بأكثر مما يسمح للبالغين.

وحين انتهت المكالمة بدت سوزان قلقة فنظرت اليها هاربيت بفضول لكن الفتاة اكتفت بالتنهد وجلست فى مكانها على الاريكة. فسألتها خالتها وقد اصبحت على دراية اكبر بمزاجها الحساس.

- هل تشعرين بالضجر هنا؟ اهذا ما يقلقك؟ ان كان ماقوله صحيحاً فتكلمى ياحبيبتى. اننى افهم انك لاتتمتعين بالعطلة ولكن حتى تشفى ساقك لانستطيع عمل شئ.

هزت سوزان رأسها قائلة:

- لا احس بالضجرا انى احب هذا المكان. لكن جدتى قالت انها اشترت لى هدية.

بدأت هاربيت تفهم سبب قلقها وسألت:

- لماذا لم تقولى ذلك منذ البداية؟

بدت سوزان مرتبكة وقالت اخيراً.

- انه كلب.

ذهلت هاربيت وكررت:

WWW.RWAYA.COM

- كلب! من كان يظن ان يحدث هذا؟

- ماذا تقصدين ياخالتى؟

- جدتك لم تسمح ابداً للحيوانات بدخول البيت لكن من الواضح انها كسرت القاعدة من اجلك.

فهتفت سوزان بانفعال.

- انه امر سار. اليس كذلك؟ ساصطحبه فى نزهات، وجدتى تقول انه بامكانى ان ادربه بنفسى عندما اتعافى. هل بامكانى تربيته هنا؟

- كلا اذ لايسمح بتربية الكلاب فى الشقق، وجدتك تعلم هذا.

عبست سوزان قائلة:

- ياالهى، لن تقبل جدتى ان تعتنى بالكلب لمدة شهر.

- كان عليها ان تأتى به فى آخر الفصل.

اجابت الصغيرة:

- لكنها ظنت ان لدى متسعاً من الوقت من العطلة لكى ادربه.

نهضت هاربيت وقالت:

- والآن، ما العمل؟

تنهدت سوزان بكآبة وحزنت خالتها لحالها.

قالت لابنه اختها:

- من الأفضل ان تعودى الى بيت جدتك. انها على حق فأنت تستطيعين تدريب الكلب فى اثناء العطلة.

ردت سوزان بارتياح.

- هل حقيقة تعتقدين ذلك؟ لا اريد ان اتركك.

- لاتقولى هذا ياحبيبتى. لقد نلت اجازتى والآن من الأفضل ان اعود الى العمل. اذهبى انت وتمتعى بهديتك.

لم يكن النهار الذى قضته عند اهلها فى غيلفورد نهاراً بسيطاً. اخذت هاربيت ملف سوزان الطبى لتعطيه للطبيب هناك، وكان عليها ان توضح كيفية تنظيف الجرح لوالدتها التى صعقت عندما رأت المنظر وهتفت:

- ياللبنية المسكينة!

وعطفها المتزايد كاد يحمل سوزان على البكاء.

اما الجرو فكان متعة للعين واحست هاربيت بالارتياح فى طريق عودتها بعدما تركت سوزان وهى تلاعب الكلب قرب المدفأة.

لم تبق سوزان عند هاربيت لوقت طويل حتى تعتاد عليها. وبعد ايام عادت الى روتين حياتها، انما لم تستطع ان تنام جيداً ولا ان تأكل بشهية، وفى اوقات يقظتها لم يساورها الا فكر واحد هو انهاقضت على املها الوحيد فى ايجاد السعادة. ولو استطاعت ان تعيش الأسابيع الماضية فى فرنسا ثانية، وهى تعلم ما قاله لهانشارلز، لاختلف الأمر تماماً.

فى بعض الأوقات كانت تفكر بالعودة الى روشلاك. لم تطلب بعد من الوكيل بيع البيت. وتصورت دهشة اندريه لو علم انها تعيش فيه مرة ثانية لا جدوى، فهى لاتملك الشجاعة الكافية على العودة وعلى طلب ماكانت ترفض الحصول عليه.

وفى احد الأيام حصل شئ غير متوقع، كانت تلبى طلبات احد الزبائن، عندما فتح الباب ودخل بول لاروش. نظرت صوبه واتسعت عيناها من الدهشة والخوف عندما رأته. كان يرتدى بنطلون جينز وقميصاً رثاً، لايختلف عن اى شاب تراه على الطريق. لكنه لايشبه بالتأكيد الزبائن الذين يترددون على المتجر. كان تشارلز يعلم ان هارييت مشغولة فأتى من الغرفة الخلفية ثم عبس عندما شاهد الصبى. وقال له:

- نعم؟

كانت هارييت تحاول التركيز على العمل بين يديها لكنها سمعت اللهجة الرادعة فى صوت تشارلز فأيقنت انه سيتخلص من الشاب. استأذنت الزبون الذى كان يتأمل شمعداناً اثرياً ووقفت بينَ الرجلين. نظر اليها تشارلز بصبر نافد فقالت له بسرعة:

- هل تعرف ابن اندريه ياتشارلز؟

بدا تشارلز مندهشاً فاستدارت هارييت نحو بول ولاحظت كم فقد الصبى من وزنه ومن غطرسته السابقة، وربما المشهد الذى رآه بينها بين والده قد غير مشاعره تجاهها. وخاطبته بعفوية:

- هل تبحث عنى؟

وتساءلت بخوف ان كان حصل شئ لاندريه، فأجابها بول:

- اجل.

وابتسم لتشارلز الذى كان يستعيد رشده، ثم ركز اهتمامه على هارييت وقال لها:

- هل بامكانى ان اتكلم اليك؟

فقال تشارلز:

- بامكانكما استعمال مكتبى.

لكن هارييت لاحظت اضطراب بول فقالت لتشارلز:

- بل سنذهب لتناول بعض القهوة.

وشدت ذراع تشارلز وهى تمر به ليفهم ثم تبعت بول الى الخارج

كان النهار مشمساً فمشيا باتجاه الحديقة العامة. اقترحت هارييت ان يشتريا بعض الكعك والعصير. التهم بول الكعكة كأنه يموت جوعاً، فاحست بالألم وهى تراقبه وسألته:

- متى تناولت الطعام لآخر مرة؟

فاحمر وجه الشاب واجاب:

- يوم امس.

تنهدت واعطته كعكتها التى اكلها بالطريقة نفسها. جلسا على مقعد فى الحديقة وادارت هارييت نحوه نظرات متسائلة وقالت:

- ماذا تفعل فى لندن؟

فتح بول عليه العصير قبل ان يجيب:

- لقد هربت.

فصاحت به:

- ماذا؟ ولماذا فعلت هذا؟

www.rewity.com

- هربت منذ عشرة ايام تقريباً وفى تلك الليلة عندما وجدتك مع أبى!

حدقت اليه باندهال وهمست:

- اوه، كلا! ولكن يابول...

- لاتغضبى ولا تلومى نفسك. كان على ان اصدق... لكننى هربت...

شرب بعض العصير وكانت هارييت تفكر بما ستفعله فسألته:

- هل يعلم والدك أين انت؟

هز رأسه قائلاً:

- لا اظن.

- اذن فهو مشغول عليك الى حد الجنون!

- اجل.

بدا بول جاداً فانفجرت تهتف بتذمر:

- الاتبالى؟

فرد عليها بصدق:

- وهل تبالين انت؟

عندما احمر وجهها وقالت:

- اننا لانتكلم عنى.

- بل نفعل، لأنك هربت ايضاً. أليس كذلك؟

فحدقت اليه وسألته:

- كيف عرفت اننى عدت الى لندن؟

- لأننى لم اجدك فى البيت. واين ستكونين اذن؟

تملكتها الحيرة فسألته ثانية:

- وضح لى من فضلك، ماذا كنت تفعل فى البيت؟

تنهد بول وقال:

- حسناً، قضيت الليلة فى القصر عندما شاهدتكما معاً لأننى عرفت ان والدى لن يبحث عنى هناك وكان يلزمنى وقت للتفكير. فى اليوم التالى ذهبت الى عمتى فى سارلات. لم تشك فى امرى لكننى فهمت اننى لا استطيع البقاء طويلاً. فعدت الى روشلاك لأننى اردت مشاهدتك والتحدث اليك. ولما لم اجدك هناك قررت السفر الى لندن.

هزت هارييت رأسها وكأنها لاتصدق وقالت:

- وهل لديك جواز سفر؟

فهز رأسه نفياً:

- اذن كيف كنت تعيش؟

- استدنت بعض النقود من عمتى، وبواسطة النقل المجانى وصلت الى ديجون فى سيارة شحن، ثم اختبأت فى المركب الى هنا.

لكن هارييت ارتعبت وشحب وجهها مما جعل بول يسألها عن السبب فطمأنته قائلة:

- اننى بخير ولكن كيف تتصور حالة ابيك الآن؟

WWW.REWITY.COM

فأحنى كتفيه ولاحظت كم ضمرتا عن السابق. اجابها:

- لست ادرى، ربما هو لايبالى.

- انت تعلم ان ما تقوله ليس الحقيقة، فهو تبعك فى تلك الليلة ليحاول ان يشرح لك الأمور..

وفهمت لماذا لم يعد اندريه اليها...

تنهد بول ثم سأل:

- وانت لماذا هربت؟

فقالت تنكر الحقيقة وهى تعلم انها تنكرها:

- انا ما هربت بل جئت بسوزان الى بيتى هنا.

- لكن والدى يهتم بك اليس كذلك؟ هل تبادلينه نفس الشعور؟

بدت خائرة القوى وقالت بصراحة:

- اجل ابادله الشعور ذاته. هل هذا ما اردت سماعه؟

قطب بول حاجبيه قائلاً:

- كنت ارغب دائماً فى المجئ الى لندن، لكن والدى لم يسمح لى أبداً. لقد اتخذتك عذراً.

- فهمت.

- اما الآن فأريد العودة الى البيت.

اخفت ارتياحها وسألته:

- كيف وجدتنى يابول؟

- وجدت اسم والدتك فى دليل التليفون واستعملت آخرنقودى لاتصل بك. لكن امرأة اخرى ردت على تدعى السيدة بيرنز، اعطتنى عنوانك هنا، فجئتك كما ترين.

تنهدت هارييت قائلة:

- اوه، بول!

- كانت مغامرة شيقة أليس كذلك؟

- كيف سأعيدك الى فرنسا وانت لاتملك جواز سفر؟

نظر اليها بول متوسلاً وقال:

- ستجدين طريقة، اننى واثق من ذلك.

وتساءلت هارييت، هل جاء الى لندن لمقابلتها ام لكسب عطفها؟ لكنه اراد ان يأتى الى لندن وربما لم تعجبه على كل حال. انها مدينة لأندريه باعادة ابنه الى البيت، والشخص الوحيد الذى يمكنه ايجاد طريقة هو تشارلز.

www.rewity.com مرورية

١١ ـ العائدون الثلاثة

تركت هاربيت منزل تشارلز فى وقت متأخر، حيث امضت امسية طويلة مع بول بينما كان تشارلز يتصل ببعض الأصدقاء فى وزارة الخارجية ويحاول تفسير الأمور للمراجع المختصة. تقرر سفر بول صباح اليوم التالى على متن طائرة ثم يستقل سيارة تنتظره فى المطار لتأخذه الى البيت. طلب تشارلز من الشاب ان يقضى الليلة عنده، الأمر الذى اراح هاربيت. وبالرغم من ذلك احست بالارهاق عندما وصلت الى شقتها. ثم رأت سيارة والدها متوقفة امام العمارة ففكرت باعياء، ماذا الآن، ماذا يفعل هنا فى هذه الساعة المتأخرة؟

لم يكن فى السيارة وادركت ان حارس البناية قد ادخله الى الشقة. استقلت المصعد وعندما وصلت الى الممر، رأت فى الظلام رجلاً متكئاً على الحائط. كتمت صرخة خوف. ولكن حتى فى الظلام عرفت انه اندريه ونظرت اليه بشغف. فقال لها:

ـ لقد تأخرت.

كلماته الباردة اعادتها الى الواقع فاحمر وجهها. ماذا يفعل هنا؟ هل اتى باحثاً عن بول؟ وان فعل لماذا يفترض انها تعلم شيئاً عن

الموضوع؟ بحثت فى حقيبتها عن المفتاح وفتحت الباب ودعت اندريه الى الدخول. سبقته الى البهو لتضئ النور. تبعها اليه ومن ثم الى غرفة الجلوس حيث نزعت سترتها. اما اندريه فكان يرتدى بزة رمادية فى غاية النظافة، ويبدو مرهقاً منشغل البال. قالت له بصوت اعلى قليلاً من المعتاد:

ـ اظنك تبحث عن بول.

ثم ارتعدت عندما اجتاز الغرفة باتجاهها وهزها من كتفيها قائلاً بوجوم:

ـ بول! هل رأيت بول!

كانت عيناه تلمعان بيريق غريب واحست هى بحيرة شديدة فردت متلعثمة:

ـ انا... اجل لقد رايته.

ـ ولم تفكرى فى ان تعلمينى بذلك؟

تركها بخشونة فجائية كادت تفقدها توازنها واردفت:

ـ ولماذا تتصلين بى ما دام الأمر لايهمك، أليس كذلك؟

نظرت اليه بخواء ومدت يدها لتمنعه من الانصراف وقالت:

ـ انتظر يا اندريه، لم يكن عندى وقت لأعلمك. رأيته لأول مرة اليوم!

ـ ماذا؟

واستدار ليحدق فيها غير مصدق كلامها فتملكها الارتباك

واجابت بصدق:

- هذ ا صحيح، اقسم لك. لقد اتى الى المتجر صباح اليوم.

تنفس اندريه بصعوبة وقال وهو يمرر اصابعه المرتجفة فى شعره:

- لقد فتشت عنه فى كل مكان. يا الله، كيف اتى الى لندن؟

فأخبرته هارييت قائلة:

- اتى الى ديجون ثم اختبأ على المركب.

- يا آلهى، وأين هو الآن؟

- انه يقضى الليل عند تشارلز.

- هوكنى؟

- نعم.

وحركت كتفيها متابعة:

- لقد جئت لتوى من هناك، هذا سبب تأخيرى.

- وهل هو على مايرام؟

- بول؟ اجل انه يرغب فى العودة الى البيت. وقد اهتم تشارلز بالترتيبات اللازمة لذلك.

كان اندريه لا يصدق مايسمع، فأشارت هارييت نحو المقعد وهى تتساءل، اذا لم يأت اندريه الى هنا بحثاً عن بول، اذا لماذا اتى؟ وقالت بلطف:

- ارجوك، تفضل بالجلوس، سأحضر القهوة.

هز رأسه كأنه دائخ وقال وهو يتقدم خطوة منها:

- يجب على ان اعتذر..

لكن هارييت اسكنته قائلة:

- لا حاجة...

- حسناً. اعذرينى ان كنت قد روعتك، لكن هذا الأسبوع كان رهيباً.

لاحظت الألم فى عينيه عندما تابع قائلاً:

- اولاً بول، ثم انت! اتعجب كيف لم افقد عقلى بعد.

فردت بصوت مرتجف:

- اوه، اندريه، ماذا تفعل هنا؟

- يجب ان تفهمى ان الوقت متأخر وانى متعب، لكن كان على ان اراك لقد انتظرتك ساعتين تقريباً.

فشدت على خصيلة من شعرها بشرود وسألته:

- السيارة التى تقف فى الخارج. اهى سيارة والدى؟

- اجل، لكن لاتطلبى منى ان اشرح لك... ليس الآن، دعنى فقط انظر اليك.

اسودت عيناه، واحست بضعف فى ركبتيها وهى تلفظ اسمه باحتجاج انما لاشئ استطاع ردعها عن لمس وجهه المرهق. قال وهو يتنفس بعنف:

- لقد تركتنى اكثر من مرة، فلماذا استمر بالعودة؟

www.rewity.com

بللت هاربيت شفتيها بلسانها وهمست:

- قل لى انت السبب.

- لقد كتبت لتشارلز. ألم يخبرك؟ لكنه لم يجب فاعتقدت انك قد تزوجت فروضت نفسى على الفكرة، الى ان ظهرت مجدداً كملاك منتقم وحطمت راحتى النفسية الى الأبد.

- اوه، اندريه، يجب ان تصفح عنى...

- اسامحك، لماذا؟

هز رأسه بمرارة وتابع:

- لأنك تركتنى عندما كنت فى امس الحاجة اليك؟

ارتجفت هاربيت وقالت:

- لم استطع اعلامك.

- لقد تسلمت رسالتى وكان باستطاعتك اجابتى عبر صالة المزاد.

- اندريه، كنت متزوجاً! وقلت ان لامجال للطلاق.

- اللعنة! اننى اعلم، اعلم... لكن كان عليك ان تفهمينى ان الحالة لم تكن حسبما تظنين. اعلم انك تتصورين اننى اسأت معاملة زوجتى، ربما انت على حق لكنها لم تعلم.

استدار فجأة وتابع.

- كانت مريضة... تعانى من مرض عقلى. وقضت آخر اثنتى عشرة سنة من حياتها فى مستشفى للأمراض العقلية!

- اننى اعلم.

فنظر اليها مستغرباً وقال:

- تعلمين!

- قام تشارلز بالاستقصاءات اللازمة بعدما كتبت اليه.

- اذن عرفت!

بدا على وجهه عذاب مرير فسارعت الى القول:

- عرفت هذا منذ بضعة ايام فقط.

تقدمت منه بشوق واضافت:

- اندريه! اندريه، تصورت انك لاتهتم! انك لم تهتم ابداً.

فقال بأسى:

- كنت فتاة صغيرة وجميلة، فلم اسمح لنفسى ان اطلب اليك أن تهدرى شبابى فى انتظارى.

- وأى هدر هذا، ليتك اعلمتنى!

تنهد اندريه:

- لم استطع ذلك، اذ لو اخبرتك لصممت ربما على انتظارى، ولربما اضجرك الانتظار، وما كنت لأطيق ذلك.

- اوه اندريه!

- هاربيت... الا تريدين ان تعرفى سبب وجود سيارة والدك فى الخارج؟

www.rewity.com

- اذا اردت ان تخبرنى...

- الا تريدين ان تعرفى اننى عدت لأصطحبك معى؟ واننى قلت لوالديك اننى انوى الزواج منك؟

اتسعت حدقتاها وقالت وهى ترمقه بشغف:

- عدت لتطلب منى هذا يا اندريه؟

فأجابها:

- تلك الليلة، فى البيت، قبل ان يقاطعنا بول. لاتنكرى ان حبك لى كان ظاهرا.

احمرت وجنتاها واعترفت له بحبها.

- ولكنك هربت.

- كان على ان اهرب... شعرت بالخجل. لم اثق بك ولا بنفسى.

- اوه هارييت، ليتك سمحت لى بأن اوضح الأشياء..

- تشارلز فسر كل شئ بالنيابة عنك.

- اشكر الله على وجود تشارلز!

- لكن لماذا ذهبت الى غليفورد؟

- كان المتجر مقفلاً والساعة تقارب الخامسة...

- اجل، لقد اقفل تشارلز مبكراً من اجل بول.

- تذكرت ان والديك يسكنان غليفورد، فأخذت القطار الى هناك.

فأكملت عنه:

- ووالدى اعارك سيارته لتأتى بها الى هنا؟

- وماذا عن بول؟

تنهد اندريه، فقالت:

- انه يعلم بعلاقتنا.

- رأنا معاً، هل هذا ما تقصدين؟

فردت بارتباك.

- كلا.. انا... انا اخبرته اننى احبك.

- وماذا اجابك؟

- لم يستغرب الأمر.

- اجل، لم يستغرب، ففى تلك الليلة... حين قصدتك لأدعوك الى العشاء معنا، قلت له وللويز عن شعورى نحوك.

- اوه، اندريه!

- لا احسبه صدقنى. ربما لذلك اتى الى البيت. فى كل حال اختفى تلك الليلة ولم اره بعد ذلك.

- قال لى بول انه امضى تلك الليلة فى القصر، وفى اليوم التالى ذهب الى سارلات.

- شقيقتى، اجل. سمعت بذلك... هارييت، امضيت الأسبوع وانا ابحث عنك. اردت ان اتبعك فى الحال لكن ضميرى لم يسمح لى. كان

WWW.REWITY.COM مـرمـوريـة

على ان اجد بول اولاً. وفى النهاية لم استطع الانتظار اكثر، وماذا وجدت؟ وجدت انك عثرت على ابنى!

فصححت له بلطف:

- كلا، هو الذى عثر على.

- اريدك ان تأتى معى الى فرنسا.. معى ومع بول.

- حسناً اذا كان هذا ما تريد.

- حبيبتى، انت تعلمين ماذا اريد بل ماذا اردت دائماً. ولكن يجب ان اتكلم اولاً عن...

فوضعت اصابعها على شفتيه وقالت:

- لست مضطرا الى اخبارى...

فأجابها انه يريد ذلك، وتابع:

- اشياء كثيرة حدثت لعائلتنا. لقد خسر آل روشفور الكثير اثناء الثورة. كنا اغنياء، والآن اصبحت مجرد مزارع.

- اتظن ان الأمر يهمنى؟

- اظن انك تحبيننى.

- اجل.

- وانا احببتك وسأحبك حتى النهاية.

فابتسمت ورفعت اليه وجهها المشرق بالهناء والاخلاص، فيما زينت شفتيها ابتسامة عذبة.